قررت وزارة المعارف العمومية استعمال هذا الكتاب بمدارسها الابتدائية

القراءة الرشيدة

الجزء الرابع

تأليف

عبد الفتاح صبري بك
المفتش
بوزارة المعارف العمومية

علي عمر بك
ناظر
مدرسة دار العلوم

« طبعة سادسة »

١٩٢٤ م

تطلب من
نجيب متري
صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه وسائر النبيين

وبعد فإن الزمان قد دار وسار وهبّ الكل يطلب العلم للصغار والكبار ولما كان أولى المسائل بالاهتمام والعناية تعليم القراءة والكتابة وشيء مما فى الدنيا من آيات الله أنشأنا هذه الكتب الاربعة أساسها التدرج وسهولة الأخذ وبناؤها على أحسن أساليب التربية وأحدثها وحالة نشوء المدارك وتطوّرها ورجاؤنا من المولى سبحانه وتعالى أن يجعلها سديدة الخطى رشيدة الغاية إنه ولىّ التوفيق

تُظْهِرُ

فَسُبْحَانَ ٱللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ

وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ
يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِي
ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ
آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ
وَٱخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَاؤُكُمْ
مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ
آيَاتِهِ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً

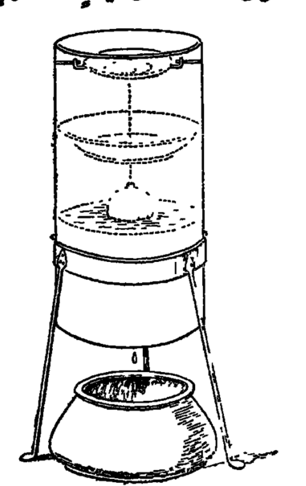
فَيُحْيِي بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ ٱلْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ وَلَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَى فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

(القرآن الكريم)

﴿ ٢ — اَلسَّاعَةُ ٱلدَّقَّاقَةُ عِنْدَ ٱلْعَرَبِ ﴾

طَاسُ الِانْتِكَاسِ

إِنَّ صُنْدُوقَ ٱلسَّاعَاتِ ٱلَّتِي بِهَا تَتَعَرَّفُ أَوْقَاتَ ٱلصَّلَوَاتِ يَتَرَكَّبُ مِنْ آلَةٍ عَلَى شَكْلِ أُسْطُوَانَةٍ تَحْتَوِي مِقْدَارًا مِنَ ٱلْمَاءِ مَعْلُومًا وَآلَةٍ أُخْرَى مُجَوَّفَةٍ مَوْضُوعَةٍ فِيهَا فَوْقَ ٱلْمَاءِ وَخَيْطٍ مَشْدُودٍ أَحَدُ طَرَفَيْهِ فِي هَذِهِ ٱلْآلَةِ



ٱلْمُجَوَّفَةِ وَطَرَفُهُ ٱلْآخَرُ فِي أَسْفَلِ ظَرْفٍ صَغِيرٍ مَوْضُوعٍ

فَوْقَ ٱلْآلَةِ ٱلْمُجَوَّفَةِ وَفِيهِ كُرَةٌ وَتَحْتَهُ طَاسٌ بِحَيْثُ لَوْ سَقَطَتِ ٱلْكُرَةُ وَقَعَتْ فِي ٱلطَّاسِ وَسُمِعَ طَنِينُهَا ثُمَّ يُثْقَبُ أَسْفَلُ ٱلْآلَةِ ٱلْأُسْطُوَانِيَّةِ ثَقْبًا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ يَنْزِلُ ٱلْمَاءُ مِنْهُ قَلِيلًا قَلِيلًا فَإِذَا ٱنْخَفَضَ ٱلْمَاءُ ٱنْخَفَضَتِ ٱلْآلَةُ ٱلْمُجَوَّفَةُ ٱلْمَوْضُوعَةُ عَلَى وَجْهِ ٱلْمَاءِ فَامْتَدَّ ٱلْخَيْطُ ٱلْمَشْدُودُ بِهَا تَحَرَّكَ ٱلظَّرْفَ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْكُرَةُ تَحْرِيكًا يُقَرِّبُهُ مِنَ ٱلِٱنْتِكَاسِ إِلَى أَنْ يَنْتَكِسَ فَتَتَدَحْرَجُ مِنْهُ ٱلْكُرَةُ وَتَقَعُ فِي ٱلطَّاسِ وَتَطِنُّ وَعِنْدَ ٱنْقِضَاءِ كُلِّ سَاعَةٍ تَقَعُ وَاحِدَةٌ

وَإِنَّمَا يَتَقَدَّرُ ٱلْفَصْلُ بَيْنَ ٱلْوَقْتَيْنِ بِتَقْدِيرِ خُرُوجِ ٱلْمَاءِ وَٱنْخِفَاضِهِ وَذَلِكَ بِتَقْدِيرِ سَعَةِ ٱلثَّقْبِ ٱلَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَاءُ وَيُعْرَفُ ذَلِكَ بِطَرِيقِ ٱلْحِسَابِ فَيَكُونُ نُزُولُ ٱلْمَاءِ بِمِقْدَارٍ مُقَرَّرٍ مَعْلُومٍ بِسَبَبِ تَقْدِيرِ سَعَةِ ٱلثَّقْبِ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ وَيَكُونُ أَعْلَى ٱلْمَاءِ بِذَلِكَ ٱلْمِقْدَارِ

وَيَتَقَدَّرُ بِهِ انْخِفَاضُ الْآلَةِ الْمُجَوَّفَةِ وَانْجِرَارُ الْخَيْطِ الْمَشْدُودِ بِهَا وَيُوَلِّدُ الْحَرَكَةَ فِي الظَّرْفِ الَّذِي فِي الْكُرَةِ وَكُلُّ ذَلِكَ يَتَقَدَّرُ بِتَقَدُّرِ سَعَتِهِ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ وَيُمْكِنُ أَنْ يُجْعَلَ وُقُوعُ الْكُرَةِ فِي الطَّاسِ سَبَبًا لِحَرَكَةٍ أُخْرَى وَتَكُونَ الْحَرَكَةُ الْأُخْرَى سَبَبًا لِحَرَكَةٍ ثَالِثَةٍ وَهَكَذَا إِلَى دَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ حَتَّى يَتَوَلَّدَ مِنْهَا حَرَكَاتٌ عَجِيبَةٌ مُقَدَّرَةٌ بِمَقَادِيرَ مَحْدُودَةٍ وَسَبَبُهَا الْأَوَّلُ نُزُولُ الْمَاءِ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ

(الإمام الغزالى)

﴿ ٣٠ — خُطْبَةُ طَارِقٍ قَبْلَ فُتُوحِ الْأَنْدَلُسِ ﴾

دُنُوٌّ   خُذْلَانٌ   مُنَاجَزَةٌ   الطَّاغِيَةُ

الْأَزْفَهُ   يُعْوِزُ   عَزِيمَةٌ

لَمَّا بَلَغَ طَارِقًا دُنُوُّ لُذَرِيقَ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ «أَيُّهَا النَّاسُ أَيْنَ الْمَفَرُّ الْبَحْرُ مِنْ

وَرَائِكُمْ وَالْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ وَاللهِ إِلَّا الصِّدْقُ وَالصَّبْرُ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ هُنَا أَضْيَعُ مِنَ الْأَيْتَامِ فِي مَأْدُبَةِ اللِّئَامِ وَقَدْ اسْتَقْبَلَكُمْ عَدُوُّكُمْ بِجَيْشِهِ وَأَسْلِحَتِهِ وَأَقْوَاتُهُ مَوْفُورَةٌ وَأَنْتُمْ لَا وَزَرَ لَكُمْ إِلَّا سُيُوفَكُمْ وَلَا أَقْوَاتَ إِلَّا مَا تَسْتَخْلِصُونَهُ مِنْ أَيْدِي عَدُوِّكُمْ وَإِنْ امْتَدَّتْ بِكُمُ الْأَيَّامُ عَلَى افْتِقَارِكُمْ وَلَمْ تُنْجِزُوا لَكُمْ أَمْرًا ذَهَبَ رِيحُكُمْ وَتَعَوَّضَتِ الْقُلُوبُ مِنْ رُعْبِهَا مِنْكُمُ الْجُرْأَةَ عَلَيْكُمْ فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ خُذْلَانَ هَذِهِ الْعَاقِبَةِ مِنْ أَمْرِكُمْ بِمُنَاجَزَةِ هَذَا الطَّاغِيَةِ فَقَدْ أَلْقَتْ بِهِ إِلَيْكُمْ مَدِينَتُهُ الْحَصِينَةُ وَإِنَّ انْتِهَازَ الْفُرْصَةِ فِيهِ لَمُمْكِنٌ إِنْ سَمَحْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ بِالْمَوْتِ وَإِنِّي لَمْ أُحَذِّرْكُمْ أَمْرًا أَنَا عَنْهُ بِنَجْوَةٍ وَلَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى خُطَّةٍ أَرْخَصُ مَتَاعٍ فِيهَا النُّفُوسُ إِلَّا أَبْدَأُ بِنَفْسِي وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْأَشَقِّ قَلِيلًا اسْتَمْتَعْتُمْ بِالْأَرْفَهِ الْأَلَذِّ طَوِيلًا فَلَا

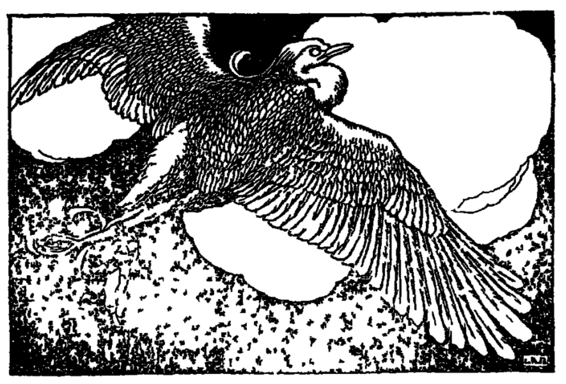
تَرْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ نَفْسِي فَمَا حَظُّكُمْ فِيهِ بِأَوْفَرَ مِنْ حَظِّي وَٱللهُ تَعَالَى وَلِيُّ إِنْجَادِكُمْ عَلَى مَا يَكُونُ لَكُمْ ذِكْرًا فِي ٱلدَّارَيْنِ وَٱعْلَمُوا أَنِّي أَوَّلُ مُجِيبٍ إِلَى مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ وَأَنِّي عِنْدَ مُلْتَقَى ٱلْجَمْعَيْنِ حَامِلٌ بِنَفْسِي عَلَى طَاغِيَةِ ٱلْقَوْمِ لُذَرِيقَ فَقَاتِلُهُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى فَٱحْمِلُوا مَعِي فَإِنْ هَلَكْتُ بَعْدَهُ فَقَدْ كُفِيتُمْ أَمْرَهُ وَلَمْ يُعْوِزْكُمْ بَطَلٌ عَاقِلٌ تُسْنِدُونَ أُمُورَكُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ هَلَكْتُ قَبْلَ وُصُولِي إِلَيْهِ فَٱخْلُفُونِي فِي عَزِيمَتِي هَذِهِ وَٱحْمِلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَلَيْهِ وَٱكْتَفُوا لَهُمْ مِنْ فَتْحِ هَذِهِ ٱلْأَرَاضِي بِقَتْلِهِ»

﴿ ٤ — ٱلسَّفْرَةُ ٱلثَّانِيَةُ مِنْ سَفَرَاتِ ٱلسِّنْدِبَادِ ٱلْبَحْرِيِّ (١) ﴾

اِنْهَمَكَ	ٱلْأُهْبَةُ	مَكِينٌ	نَتَعَوَّضُ
دَيَّارٌ	ٱلسُّفْرَةُ	مَرَارَةٌ	مَلْسَاءُ
تَنْفَطِرُ			

لَمَّا ٱنهَمَكْتُ فِي ٱللَّذَّاتِ وَٱنْتِهَابِ ٱلْمَسَرَّاتِ
خَطَرَ بِبَالِي ٱلسَّفَرُ وَٱشْتَاقَتْ نَفْسِي لِلْمَتْجَرِ وَنَسِيتُ مَالَاقَيْتُ
مِنَ ٱلشِّدَّاتِ فَأَخَذْتُ فِي ٱلْأُهْبَةِ وَٱشْتَرَيْتُ مَتْجَراً
مَلِيحاً وَشَدَدْتُ ٱلْأَحْمَالَ وَسَافَرْتُ مَعَ تُجَّارٍ مُرَافِقِينَ وَرِفَاقٍ
مُوَافِقِينَ حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ وَرَكِبْنَا فِي مَرْكَبٍ
مَكِينٍ وَنَحْنُ بِٱللهِ نَسْتَعِينُ وَمَازِلْنَا نَسِيرُ مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى
جَزِيرَةٍ وَنَحْنُ نَبِيعُ وَنَشْتَرِي وَنَتَعَوَّضُ حَتَّى نَزَلْنَا ذَاتَ يَوْمٍ
عَلَى جَزِيرَةٍ كَثِيرَةِ ٱلْأَشْجَارِ وَٱلْأَثْمَارِ خَالِيَةٍ مِنَ ٱلنَّاسِ
مَا فِيهَا دَيَّارٌ وَلَا نَافِخُ نَارٍ فَرَسَا ٱلْمَرْكَبُ عَلَيْهَا وَطَلَعَ
ٱلتُّجَّارُ إِلَيْهَا يَتَفَرَّجُونَ بِرِيَاضِهَا وَأَنْهَارِهَا وَيَجْمَعُونَ مِنْ
أَزْهَارِهَا وَأَثْمَارِهَا وَأَنَا أَخَذْتُ ٱلسُّفْرَةَ وَجَلَسْتُ عَلَى
سَاقِيَةٍ جَارِيَةٍ بَيْنَ أَشْجَارٍ مُثْمِرَةٍ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَطَابَ
لِيَ ٱلْمَنَامُ فَرَقَدْتُ مَكَانِي بَيْنَ ٱلْأَشْجَارِ فَمَا ٱسْتَيْقَظْتُ
إِلَّا وَٱلْمَرْكَبُ قَدْ أَقْلَعَ وَسَارَ وَسَافَرَ وَغَاصَ فِي ٱلْبَحْرِ

فَقُمْتُ وَلَمْ أَجِدْ عِنْدِي أَنِيساً وَلَا جَلِيساً فَصَرَخْتُ وَلَطَمْتُ عَلَى رَأْسِي وَانْقَطَعَ رَجَائِي مِنَ الْحَيَاةِ وَالدُّنْيَا وَكَادَتْ تَنْفَطِرُ مَرَارَتِي مِنَ الْحَسْرَةِ وَبَقِيتُ كَالْمَجْنُونِ لَا أَقْدِرُ عَلَى السُّكُونِ فَصَعِدْتُ عَلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ وَنَظَرْتُ يَمِيناً وَشِمَالاً فَلَمْ أَرَ غَيْرَ الْمَاءِ وَالسَّمَاءِ وَنَظَرْتُ وَإِذَا شَيْءٌ أَبْيَضُ قَدْ لَاحَ لِي مِنَ الْبُعْدِ فَنَزَلْتُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَأَخَذْتُ السُّفْرَةَ وَكَانَ فِيهَا زَادٌ كَثِيرٌ



ثُمَّ إِنِّي قَصَدْتُ ذَلِكَ الْبَيَاضَ وَإِذَا هِيَ قُبَّةٌ كَبِيرَةٌ

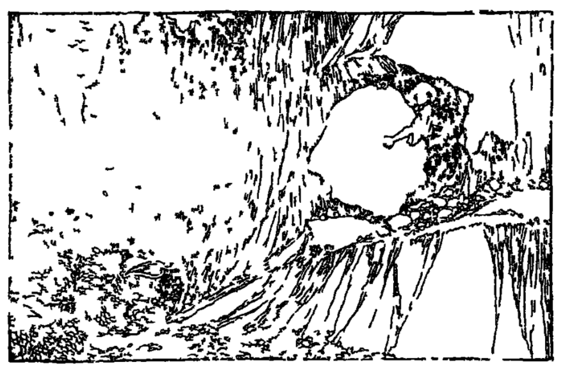
شاهِقَةٌ مَلْسَاءَ ناعِمَةٌ فَدَنَوْتُ مِنْهَا وَدُرْتُ حَوْلَهَا فَلَمْ أَجِدْ لَهَا بَابًا وَلَمْ أُطِقِ الصُّعُودَ عَلَيْهَا مِنْ مَلَاسَتِهَا وَكَانَتِ اسْتِدَارَتُهَا خَمْسِينَ خُطْوَةً فَبَقِيتُ مُتَحَيِّرًا فِي ذَلِكَ وَكَانَتِ الشَّمْسُ قَدْ قَارَبَتِ الْغُرُوبَ وَإِذَا الْجَوُّ قَدْ أَظْلَمَ وَظَهَرَتْ غَيْمَةٌ كَبِيرَةٌ فَتَأَمَّلْتُهَا وَإِذَا هِيَ طَيْرٌ فَتَذَكَّرْتُ مَا أَخْبَرَ الْبَحْرِيُّونَ عَنْ طَيْرِ الرُّخِّ الَّذِي هُوَ بِقَدْرِ الْغَيْمَةِ وَتِلْكَ الْقُبَّةُ هِيَ بَيْضَتُهُ وَإِذَا بِالطَّيْرِ قَدْ نَزَلَ عَلَيْهَا وَأَنَا فِي جَانِبِهَا فَوَقَعَ أَحَدُ مَخَالِبِهِ قُدَّامِي كَأَنَّهُ سِكَّةُ حَدِيدٍ كَبِيرَةٌ فَحَلَلْتُ عِمَامَتِي عَنْ رَأْسِي وَشَدَدْتُ نَفْسِي فِي طَرَفِ الْعِمَامَةِ وَفِي الْمِخْلَبِ شَدًّا وَثِيقًا وَقُلْتُ لَعَلَّ هَذَا الطَّيْرَ يُخْرِجُنِي مِنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ إِلَى مَكَانٍ عَامِرٍ

﴿ ٥ - السَّفْرَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ سَفَرَاتِ السِّنْدِبَادِ الْبَحْرِيِّ (٢) ﴾

نَكَسَ   نَائِبَةٌ   كَهْفٌ   أَرْتَعِدُ

تَهَلَّلَتْ

فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ أَقْلَعَ الرُّخُّ وَطَارَ فِي الْفَضَاءِ وَأَنَا مَرْبُوطٌ فِي مِخْلَبِهِ رَبْطاً وَثِيقاً وَالسُّفْرَةُ مَعِي وَلَمْ يَزَلْ مُرْتَفِعاً إِلَى الْجَوِّ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدِ احْتَكَّ بِالسَّمَاءِ ثُمَّ نَكَسَ رَأْسَهُ وَطَلَبَ الْأَرْضَ فَلَمْ أُحِسَّ بِنَفْسِي إِلَّا وَأَنَا عَلَى وَجْهِهَا فَحَلَلْتُ الْعِمَامَةَ مِنْ مَخَالِبِهِ وَإِذَا بِهِ ضَرَبَ عَلَى حَيَّةٍ كَأَنَّهَا جَمَلٌ وَأَخَذَهَا وَطَارَ وَبَقِيتُ أَنَا فِي وَادٍ عَمِيقٍ لَا يَبْلُغُ النَّظَرُ إِلَى ارْتِفَاعِهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى النُّزُولِ إِلَيْهِ أَوِ الصُّعُودِ مِنْهُ فَقُلْتُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ كُلُّ نَائِبَةٍ تَأْتِينِي أَصْعَبُ مِنَ الْأُخْرَى



ثُمَّ إِنِّي تَمَشَّيْتُ فِي ذَلِكَ ٱلْوَادِي وَإِذَا أَرْضُهُ جَمِيعُهَا مِنْ حَجَرِ ٱلْمَاسِ وَهُوَ مِنْ أَنْفَرِ ٱلْجَوَاهِرِ ٱلْغَالِيَةِ ٱلثَّمَنِ وَفِي ذَلِكَ ٱلْوَادِي حَيَّاتٌ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَبْلُغُ ٱلْفِيلَ وَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا وَتَخْتَفِي بِٱلنَّهَارِ مِنْ هَذَا ٱلطَّيْرِ ٱلَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَتَسْعَى بِٱللَّيْلِ فَبَقِيتُ مُتَحَيِّرًا ذَلِكَ ٱلْيَوْمَ إِلَى أَنْ أَمْسَى ٱلْمَسَاءُ فَعَمَدْتُ إِلَى مَغَارَةٍ فِي كَهْفٍ صَغِيرٍ وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَسَدَدْتُ بَابَهُ بِحَجَرٍ كَبِيرٍ وَأَخْرَجْتُ مَا بَقِيَ مَعِي مِنَ ٱلزَّادِ فِي ٱلسُّفْرَةِ وَأَكَلْتُ كِفَايَتِي وَأَنَا أَرْتَعِدُ مِنَ ٱلْخَوْفِ وَإِذَا بِٱلْحَيَّاتِ خَرَجَتْ تَسْعَى كَٱلْأَفْيَالِ وَبَعْضُهَا كَٱلْجِمَالِ وَعَايَنْتُ مَا هَالَنِي مِنْهَا حَتَّى طَلَعَ ٱلْفَجْرُ وَقَدِ ٱخْتَفَتِ ٱلْحَيَّاتُ فَخَرَجْتُ أَمْشِي فِي ٱلْوَادِي وَأَنَا فِي حَيْرَةٍ عَظِيمَةٍ

وَبَيْنَمَا أَنَا وَاقِفٌ إِذْ وَقَعَ بِجَانِبِي شِقَّةُ لَحْمٍ طَرِيٍّ فَٱلْتَفَتُّ وَإِذَا بِشِقَقٍ كَثِيرَةٍ قَدْ تَسَاقَطَتْ عَلَى ٱلْجِبَالِ فَتَذَكَّرْتُ مَا أَخْبَرَ بِهِ ٱلْمَلَّاحُونَ أَنَّهُ وَادِي ٱلْمَاسِ ٱلَّذِي

يَقْصِدُهُ ٱلتُّجَّارُ وَيُشَرِّحُونَ ٱللَّحْمَ وَيَرْمُونَهُ فِيهِ فَيَعْلَقُ بِهِ بَعْضُ ٱلْمَاسِ فَتَنْزِلُ ٱلطُّيُورُ وَتَأْخُذُهُ وَتَصْعَدُ إِلَى ٱلْجَبَلِ حَتَّى تُطْعِمَهُ أَفْرَاخَهَا فَيَأْتِي ٱلتُّجَّارُ وَيَأْخُذُونَ مَا لَصِقَ بِهِ مِنَ ٱلْأَحْجَارِ كُلُّ تَاجِرٍ مِنْ شِقَّتِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا بِهَذِهِ ٱلْحِيلَةِ فَطَارَ قَلْبِي بِذَلِكَ وَجَمَعْتُ مِنَ ٱلْوَادِي مَا قَدَرْتُ مِنْ أَفْخَرِ ٱلْمَاسِ ٱلْمَلِيحِ وَمَلَأْتُ ٱلسُّفْرَةَ وَأَتَيْتُ إِلَى شِقَّةٍ كَبِيرَةٍ تَجَلَّلْتُ فِيهَا وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَتَتِ ٱلنُّسُورُ وَكُلٌّ مِنْهَا حَمَلَ شِقَّةً وَٱرْتَفَعَ بِهَا إِلَى أَعْلَى ٱلْجَبَلِ وَشِقَّتِي حَمَلَهَا نَسْرٌ كَبِيرٌ وَوَضَعَهَا فَوْقَ ٱلْجَبَلِ أَيْضًا وَإِذَا بِصَيْحَاتٍ قَدْ عَلَتْ عَلَى ٱلنُّسُورِ فَأَجْفَلَتْ وَتَرَكَتِ ٱللُّحُومَ وَطَارَتْ

﴿ ٦ — ٱلسَّفْرَةُ ٱلثَّانِيَةُ مِنْ سَفَرَاتِ ٱلسِّنْدِبَادِ ٱلْبَحْرِيِّ (٣) ﴾

ٱِرْتَعَبَ   قَبْضَةٌ   أَعْيِي   ٱلْكَرْكَدَنُ

فَأَتَى ٱلتُّجَّارُ كُلٌّ وَاحِدٍ إِلَى شِقَّتِهِ فَنَهَضَ صَاحِبُ شِقَّتِي لِيَأْخُذَ مَا ٱلْصِقَ بِهَا فَوَجَدَنِي وَٱرْتَعَبَ مِنِّي فَقُلْتُ لَهُ لَا تَخَفْ أَنَا إِنْسَانٌ مِثْلُكَ فَصَرَخَ وَبَكَى وَقَالَ يَا خَيْبَةَ تِجَارَتِي فِيكَ فَقُلْتُ لَهُ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ أَنَا مَعِي شَيْءٌ أُعْطِيكَ أَكْثَرَ مِمَّا حَصَلَ لِرِفَاقِكَ ثُمَّ إِنَّهُ تَقَدَّمَ وَحَلَّ ٱلشُّقَّةَ وَٱلْعِمَامَةَ وَأَخْرَجَنِي وَإِذَا بِٱلتُّجَّارِ قَدِ ٱجْتَمَعُوا إِلَيَّ وَسَأَلُونِي عَنْ حَالِي فَحَكَيْتُ لَهُمْ مَا جَرَى لِي فَتَعَجَّبُوا عَجَبًا عَظِيمًا وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى سَلَامَتِكَ

ثُمَّ مَضَوْا وَأَنَا مَعَهُمْ إِلَى مَجْمَعِ ٱلتُّجَّارِ فَأَخْرَجْتُ مِنَ ٱلسُّفْرَةِ ٱلَّتِي مَعِي وَأَعْطَيْتُ صَاحِبَ شِقَّتِي نَصِيبَهُ وَكُنْتُ قَدْ مَلَأْتُهَا مِنَ ٱلْجَوَاهِرِ ٱلثَّمِينَةِ وَنِمْتُ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ عِنْدَهُمْ وَهُمْ يَسْأَلُونَنِي عَنْ عُمْرِي وَأَنَا لَا أَعِي مِنْ فَرَحِي وَأَظُنُّ إِنِّي فِي ٱلْمَنَامِ ثُمَّ قُمْنَا فِي ٱلْغَدِ وَسِرْنَا فِي جِبَالٍ عَالِيَةٍ حَتَّى أَتَيْنَا جَزِيرَةَ ٱلرُّهَا وَفِيهَا شَجَرُ ٱلْكَافُورِ كُلُّ

شَجَرَةٍ مِنْهَا تُظَلِّلُ مِائَةَ رَجُلٍ فَأَكْثَرَ وَيَسْتَخْرِجُونَهُ بِأَنْ يَثْقُبُوا عَلَى الشَّجَرَةِ فَيَسِيلَ مِنْهَا مَاءُ الْكَافُورِ وَيَمْلَأُ جِرَارًا كَثِيرَةً وَبَعْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ قِطْرُ الْكَافُورِ كَالصَّمْغِ ثُمَّ يَبْطُلُ وَتَجِفُّ الشَّجَرَةُ

وَفِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَحْشٌ يُسَمَّى الْكَرْكَدَّنَ كَرَعَايَا الْبَقَرِ دُونَ الْفِيلِ وَأَكْبَرَ مِنَ الْجَامُوسِ وَمَأْكُولُهُ نَبَاتُ الْأَرْضِ وَلَهُ قَرْنٌ وَاحِدٌ فِي وَسَطِ رَأْسِهِ طُولُهُ ذِرَاعٌ وَعَرْضُهُ قَبْضَةٌ وَهَذَا الْحَيَوَانُ يَشُكُّ الْفِيلَ بِقَرْنٍ يَحْمِلُهُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَسِيلُ دُهْنُهُ عَلَى عَيْنَيِ الْكَرْكَدَّنِ فَيُعْمِيهِ وَيَبْقَى مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ فَيَأْتِي الرُّخُّ وَيَأْخُذُ الِاثْنَيْنِ فِي مَخَالِبِهِ وَيُطْعِمُهُمَا فِرَاخَهُ

ثُمَّ إِنِّي بِعْتُ مِنَ الْمَاسِ الَّذِي مَعِي وَتَعَوَّضْتُ شَيْئًا كَثِيرًا وَمَا زِلْتُ أَسِيرُ مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ وَمِنْ بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَمِنْهَا إِلَى بَغْدَادَ وَدَخَلْتُ

دَارِى وَمَعِى مِنَ ٱلْمَالِ مَالَا يُوصَفُ وَلَا يُعَدُّ فَتَصَدَّقْتُ وَأَعْطَيْتُ ٱلْفُقَرَاءَ وَٱلْمُحْتَاجِينَ وَبَقِيتُ عَلَى هَذِهِ ٱلْحَالِ أَقْضِى ٱلْأَوْقَاتَ بِٱلْهَنَاءِ وَٱلْمَسَرَّاتِ وَنَسِيتُ مَا لَاقَيْتُ مِنَ ٱلْمَشَقَّاتِ

﴿ ٧ — ٱلْهَوَاءُ ﴾

مَلَاكٌ اِضْطَرَمَ فَوْزٌ شَفِيفٌ
يَسْتَمِدُّ يَنْفُثُ

مَاذَا يَكُونُ جَوَابُكَ إِذَا سَأَلَكَ سَائِلٌ عَنِ ٱسْمِ ٱلشَّىْءِ ٱلَّذِى يُعْتَبَرُ مَلَاكَ ٱلْحَيَاةِ لِكُلِّ كَائِنٍ حَيَوَانِيٍّ أَوْ نَبَاتِيٍّ وَإِذَا ٱسْتَزَدْتَهُ إِيضَاحاً قَالَ لَكَ إِنَّهُ أَشَدُّ لُزُوماً مِمَّا سِوَاهُ مِنْ أَسْبَابِهَا وَمُعَدَّاتِهَا وَلَوْلَاهُ مَا ٱضْطَرَمَتْ نَارٌ وَلَا ٱنْتَشَرَ صَوْتٌ وَلَا طَارَ طَائِرٌ فِى ٱلْجَوِّ وَلَا تَحَرَّكَ سَحَابٌ وَلَا تَلَوَّنَتِ ٱلسَّمَاءُ بِٱللَّوْنِ ٱلْأَزْرَقِ ٱلْجَمِيلِ ٱلَّذِى نَرَاهُ ذَلِكَ هُوَ ٱلْهَوَاءُ ٱلَّذِى لَا يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ أَوْ حَيَوَانٌ أَنْ يَحْيَا بِدُونِهِ

وَٱلشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا سُدَّ أَنْفُ حَيَوَانٍ وَفُوهُ حَتَّى لَا يَدْخُلَهُمَا ٱلْهَوَاءُ ٱنْقَطَعَتْ أَنْفَاسُهُ فَقَضَى مِنْ فَوْرِهِ مَعَ أَنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُمْسِكَ عَنِ ٱلطَّعَامِ وَٱلْمَاءِ أَيَّامًا

وَٱلْهَوَاءُ جِسْمٌ لَطِيفٌ شَفِيفٌ يُحِيطُ بِٱلْكُرَةِ ٱلْأَرْضِيَّةِ وَيَعْلُو فَوْقَهَا إِلَى بُعْدٍ لَا يَقِلُّ عَنْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ مِيلًا وَهُوَ مُنْتَشِرٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ عَلَى سَطْحِ ٱلْأَرْضِ وَمَا تَظُنُّهُ مِنَ ٱلْأَمْكِنَةِ وَٱلْآنِيَةِ خِلْوًا مِنَ ٱلْهَوَاءِ إِنَّمَا هُوَ مَمْلُوءٌ بِهِ وَحَسْبُكَ دَلِيلًا عَلَى وُجُودِهِ فِي مَكَانٍ مُغْلَقٍ أَنَّكَ إِذَا حَرَّكْتَ يَدَكَ بِسُرْعَةٍ أَحْسَسْتَ بِهِ يَعْتَرِضُ حَرَكَتَهَا وَهُوَ مُؤَلَّفٌ مِنْ عُنْصُرَيْنِ أَحَدُهُمَا يُسَمَّى ٱلْأُكْسِجِينَ وَٱلْآخَرُ ٱلْآزُوتَ بِنِسْبَةِ ثَلَاثَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ ٱلْأَوَّلِ إِلَى سَبْعَةٍ وَسَبْعِينَ مِنَ ٱلثَّانِي فِي كُلِّ مِائَةِ جُزْءٍ مُقَدَّرَةٍ بِٱلْوَزْنِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَكُونُ خَالِصًا بَلْ يَمْتَزِجُ بِمَوَادَّ أُخَرَ كَٱلْحَامِضِ ٱلْكَرْبُونِيِّ وَبُخَارِ ٱلْمَاءِ وَغَيْرِهِمَا وَيَتَبَادَلُ

ٱلْحَيَوَانُ وَٱلنَّبَاتُ ٱلْهَوَاءَ بَيْنَهُمَا فِي ٱلتَّنَفُّسِ فَٱلْحَيَوَانُ يَسْتَنْشِقُهُ لِيَسْتَمِدَّ مِنْهُ ٱلْأُكْسِجِينَ ٱلَّذِي بِهِ يَنْقَى ٱلدَّمُ وَيَنْفُثُ ٱلْحَامِضَ ٱلْكَرْبُونِيَّ وَبُخَارَ ٱلْمَاءِ وَمَادَّةً حَيَوَانِيَّةً فَاسِدَةً وَيَحْصُلُ ٱلتَّنَفُّسُ فِي ٱلنَّبَاتِ بِوَاسِطَةِ أَوْرَاقِهِ فَتَسْتَمِدُّ مِنَ ٱلْهَوَاءِ ٱلْكَرْبُونَ مِنْ حَامِضِهِ ٱلْكَرْبُونِيِّ وَتُطْلِقُ ٱلْأُكْسِجِينَ بِالنَّهَارِ وَأَمَّا بِٱللَّيْلِ فَيُطْلِقُ ٱلنَّبَاتُ ٱلْحَامِضَ ٱلْكَرْبُونِيَّ

﴿ ٨ — دَوْلَةُ ٱلْمَمَالِيكِ فِي مِصْرَ ﴾

يُكَفِّرُ صَادَرَ تُجْبَى مُهَيْمِنٌ ٱلْعِيَالُ

إِنْ كَانَ هُنَاكَ آثَارٌ ظَاهِرَةٌ مَلَكِيَّةٌ فِي مِصْرَ وَٱلشَّامِ فَإِنَّمَا تُنْسَبُ إِلَى هَذِهِ ٱلدَّوْلَةِ تَأَمَّلِ ٱلْمَسَاجِدَ ٱلْكُبْرَى وَمِنْهَا مَا كَانَ مُعَدًّا لِدِرَاسَةِ ٱلْعِلْمِ وَتَعَرَّفْ مَنْ بَنَاهَا تَجِدْهُ مِنْ رِجَالِ دَوْلَةِ ٱلْمَمَالِيكِ وَٱلْمَنْسُوبُ إِلَى غَيْرِهِمْ قَلِيلٌ وَلَعَلَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يُكَفِّرَ ٱللهُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ

ٱلسَّيِّئَاتِ ٱلَّتِي كَانُوا يَرْتَكِبُونَهَا فِي أَحْكَامِهِمْ

كَانَ ٱلْمَلِكُ وَٱلْأَمِيرُ فِي هَذِهِ ٱلدَّوْلَةِ حُرًّا فِي ٱلرَّعِيَّةِ فَإِذَا غَضِبَ لَا يَقُومُ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ فَإِنْ شَاءَ قَتَلَ وَإِنْ شَاءَ صَادَرَ فَأَخَذَ ٱلْأَمْوَالَ وَفَضَحَ ٱلْعِيَالَ وَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ لَهُ لِمَ فَعَلْتَ وَلِمَ قَتَلْتَ

وَإِذَا ٱحْتَاجَ ٱلْمَلِكُ مِنْهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِنَ ٱلنُّقُودِ لِسَدِّ حَاجَةٍ مِنْ حَاجَاتِهِ فَسَرْعَانَ مَا يُصْدِرُ أَمْرَهُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ ٱلْمَظَالِمِ فَتُجْبَى ٱلْأَمْوَالُ وَيُلَاقِي ٱلنَّاسُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَا لَا مَثِيلَ لَهُ حَتَّى تَرَبَّتِ ٱلرَّعِيَّةُ عَلَى ٱلْخَوْفِ وَٱلرُّعْبِ وَرَأَوْا أَنَّ حِيلَتَهُمُ ٱلْوَحِيدَةَ لِلْخَلَاصِ مِنَ ٱلشَّرِّ أَحْيَانًا إِنَّمَا هِيَ ٱلْكَذِبُ وَقَلَّمَا كَانَ يُنَجِّيهِمْ لِأَنَّ أَنْوَاعَ ٱلْعُقُوبَاتِ ٱلَّتِي كَانَتْ تَنْصَبُّ حِينَئِذٍ عَلَى بَدَنِ ٱلْمُنْكِرِ تُخْرِجُ مِنْهُ مَا عِنْدَهُ فَيَعْدَمُ نَفْسَهُ وَيَعْدَمُ مَالَهُ

وَكَانَتِ ٱلْمَظَالِمُ ٱلَّتِي تُجْبَى بِهَا ٱلْأَمْوَالُ تَكْثُرُ

وَتَقِلُّ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَ عَلَيْهِ ٱلْمُلُوكُ مِنَ ٱلْعَدْلِ وَٱلظُّلْمِ وَخَيْرُ ٱلْمُلُوكِ مِنْ هَذِهِ ٱلْجِهَةِ ٱلسُّلْطَانُ ٱلنَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ فَإِنَّهُ أَبْطَلَ أَنْوَاعاً كَثِيرَةً مِنْ هَذِهِ ٱلْمَظَالِمِ

وَقَدْ نَبَغَ فِي مِصْرَ فِي أَيَّامِهِمْ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ ٱلدِّينِ كَجَلَالِ ٱلدِّينِ ٱلسُّيُوطِيِّ وَشَيْخِ ٱلْإِسْلَامِ زَكَرِيَّا ٱلْأَنْصَارِيِّ وَغَيْرِهِمَا

وَبِٱلْجُمْلَةِ فَسَلْطَنَةُ ٱلْمَمَالِيكِ عَلَى مِصْرَ كَانَ شَرُّهَا أَكْثَرَ مِنْ خَيْرِهَا وَيَكْفِي ٱلْأُمَّةَ عَاراً وَحِطَّةً أَنْ يُشْتَرَى ٱلْمَمْلُوكُ ٱلْيَوْمَ بِٱلدِّرْهَمِ ثُمَّ يَصِيرَ بَعْدَ حِينٍ مَلِكاً مُهَيْمِناً عَلَيْهَا

(تاريخ الشيخ الخضرى)

﴿ ٩ — فِي طَلَبِ ٱلْمَعَالِي وَعِزَّةِ ٱلنَّفْسِ ﴾

تَبْرَحُ	أَهَابَ	مُبْتَذَلٌ	يُزْهَى
شَوْطٌ	ٱلسِّفْلُ	دَرَجَ	دَخَلٌ
يُعَوِّلُ	مَعْجَزَةٌ	وَجَلٌ	دَارَةٌ

إِنَّ ٱلْعُلاَ حَدَّثَتْنِي وَهْيَ صَادِقَةٌ
فِيمَا تُحَدِّثُ أَنَّ ٱلْعِزَّ فِي ٱلنُّقَلِ

لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ ٱلْمَأْوَى بُلُوغَ مُنىً
لَمْ تَبْرَحِ ٱلشَّمْسُ يَوْماً دَارَةَ ٱلْحَمَلِ

أَهَبْتُ بِالْحَظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمِعاً
وَٱلْحَظُّ عَنِّيَ بِٱلْجُهَّالِ فِي شُغُلِ

لَعَلَّهُ إِنْ بَدَا فَضْلِي وَنَقْصُهُمُ
لِعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لِي

أُعَلِّلُ ٱلنَّفْسَ بِٱلْآمَالِ أَرْقُبُهَا
مَا أَضْيَقَ ٱلْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ ٱلْأَمَلِ

لَمْ أَرْضَ بِٱلْعَيْشِ وَٱلْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ
فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَلِ

غَالَى بِنَفْسِيَ عِرْفَانِي بِقِيمَتِهَا
فَصُنْتُهَا عَنْ رَخِيصِ ٱلْقَدْرِ مُبْتَذَلِ

وَعَادَةُ ٱلنَّصلِ أَنْ يُزْهَى بِجَوْهَرِهِ
وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَىْ بَطَلِ

مَا كُنتُ أُوثِرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنِي
حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ ٱلْأَوْغَادِ وَٱلسِّفَلِ

تَقَدَّمَتْنِي أُنَاسٌ كَانَ شَوْطُهُمُ
وَرَاءَ خَطْوِيَ لَوْ أَمْشِي عَلَى مَهَلِ

هَذَا جَزَاءُ ٱمْرِئٍ أَقْرَانُهُ دَرَجُوا
مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَةَ ٱلْأَجَلِ

وَإِنْ عَلَانِيَ مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبٌ
لِي أُسْوَةٌ بِٱنْحِطَاطِ ٱلشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ

فَٱصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلَا ضَجِرٍ
فِي حَادِثِ ٱلدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنِ ٱلْحِيَلِ

أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ
فَحَاذِرِ ٱلنَّاسَ وَٱصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلِ

فَإِنَّمَا رَجُلُ ٱلدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا
مَنْ لَا يُعَوِّلُ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى رَجُلِ.
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِٱلْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ
فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ

(الطغرائى)

* ١٠ – أجسامنا (١) *

شُبْهَةٌ عِمَادٌ ٱلْجُمْجُمَةُ عِرْنِينٌ
ٱلْوَجْنَةُ

لَا شُبْهَةَ فِي أَنَّ كُلًّا مِنَّا يُحِسُّ أَنَّ بِهِ قِطَعًا صُلْبَةً يَنْبَنِي عَلَيْهَا جِسْمُهُ وَهَذِهِ ٱلْقِطَعُ ٱلصُّلْبَةُ تُكَوِّنُ مَا يُسَمَّى ٱلْهَيْكَلَ ٱلْعَظْمِيَّ وَلَا تَقِلُّ فِي عَدَدِهَا عَنْ مِائَتَيْ قِطْعَةٍ مُنْفَصِلٍ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مُمَيَّزَةٍ فِي أَشْكَالِهَا وَأَقْدَارِهَا وَوَظِيفَتُهَا أَنْ تَكُونَ عِمَادًا لِلْأَجْزَاءِ ٱللَّحْمِيَّةِ وَأَنْ تُكْسِبَ ٱلْجِسْمَ قُوَّةً وَمَتَانَةً وَٱلْهَيْكَلُ ٱلْعَظْمِيُّ هُوَ ٱلَّذِي

يُعَيِّنُ شَكْلَ ٱلْجِسْمِ وَبِهِ يُمْكِنُ
ٱلْحُكْمُ عَلَى نَوْعِ ٱلْحَيَوَانِ .
وَٱلْأَقْسَامُ ٱلْأَسَاسِيَّةُ
لِلْهَيْكَلِ ٱلْعَظْمِيِّ ثَلَاثَةٌ ٱلرَّأْسُ
وَٱلْجِذْعُ وَٱلْأَطْرَافُ
يَتَرَكَّبُ ٱلرَّأْسُ مِنْ
جُزْءَيْنِ ٱلْجُمْجُمَةُ وَٱلْوَجْهُ
فَٱلْجُمْجُمَةُ صُنْدُوقٌ مُجَوَّفٌ
وَظِيفَتُهُ تَغْلِيفُ ٱلدِّمَاغِ وَوِقَايَتُهُ
وَهِيَ تَتَرَكَّبُ مِنْ ثَمَانِي قِطَعٍ عَظِيمَةٍ مُثَبَّتٍ بَعْضُهَا فِي
بَعْضٍ تَثْبِيتًا مُحْكَمًا وَأَمَّا ٱلْوَجْهُ فَيَشْمَلُ بَاقِيَ ٱلرَّأْسِ وَعَدَدُ
ٱلْعِظَامِ فِيهِ لَا يَقِلُّ عَنْ أَرْبَعَ عَشَرَةَ قِطْعَةً وَأَعْجَبُ
مَا يُلَاحَظُ فِي وَضْعِ هَذِهِ ٱلْعِظَامِ مَا كَانَ خَاصًّا بِإِحْكَامِ

وَضعِ ٱلْعَينَينِ فِي نُقْرَتَيْنِ فِي ٱلْعِظَامِ هُمَا ٱلْمَحْجِرَانِ وَأَعْجَبُ مِنْ هٰذَا وِقَايَتُهُمَا مِنْ فَوقُ بِٱلْجَبْهَةِ وَمِن تَحْتُ بِعَظْمَيِ ٱلْوَجْنَتَيْنِ وَمِنْ بَيْنِهِمَا بِعِرْنِينِ ٱلْأَنْفِ وَلَيْسَ مِنْ عِظَامِ ٱلْوَجْهِ ٱلْأَرْبَعَةَ عَشَرَ إِلَّا عَظْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ عَظْمُ ٱلْفَكِّ ٱلسُّفْلِيِّ يَتَحَرَّكُ لِفَتْحِ ٱلْفَمِ أَوْ إِغْلَاقِهِ وَيَتَّصِلُ عَظْمُ ٱلْفَكِّ بِعَظْمِ ٱلْجُمْجُمَةِ بِمَفْصِلٍ وَفِي ٱلْفَكَّيْنِ أَسْنَانٌ لِتَمْزِيقِ ٱلْأَغْذِيَةِ وَمَضْغِهَا وَهِيَ فِي ٱلْأَطْفَالِ عِشْرُونَ وَتُسَمَّى أَسْنَانَ ٱللَّبَنِ أَوْ أَسْنَانَ ٱلْإِسْنَانِ ٱلْأَوَّلِ وَفِي ٱلْكِبَارِ ٱثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ وَتُسَمَّى ٱلْأَسْنَانَ ٱلْمُعَوِّضَةَ أَوْ أَسْنَانَ ٱلْإِسْنَانِ ٱلثَّانِي وَتَبْقَى هٰذِهِ مَعَ ٱلْإِنْسَانِ إِلَى مَا شَاءَ ٱللهُ

﴿ ١١ — أَجْسَامُنَا (٢) ﴾

ٱلْمَحَالَةُ ٱلْفِقْرِيُّ ٱلْقَصُّ ٱلْحَوضُ غُضْرُوفِيَّةٌ
ٱلْعُصْعُصِيَّةُ ٱلْعَجُزِيَّةُ ٱلْحَرْقَفَةُ ٱلْقَطَنِيَّةُ

جِذْعُ ٱلْإِنْسَانِ هُوَ ذَلِكَ ٱلْجُزْءُ مِنْ جِسْمِهِ ٱلَّذِى يَبْقَى إِذَا ٱنْفَصَلَتْ مِنْهُ ٱلرَّأْسُ وَٱلْأَطْرَافُ وَيَتَكَوَّنُ مِنْ جُزْءٍ أَصْلِيٍّ هُوَ ٱلْمَحَالَةُ أَوِ ٱلْعَمُودُ ٱلْفِقْرِىُّ وَمِنْ أَجْزَاءٍ فَرْعِيَّةٍ هِيَ ٱلْقَصُّ وَٱلْأَضْلَاعُ وَٱلْحَوْضُ وَيَمْتَدُّ ٱلْعَمُودُ ٱلْفِقْرِىُّ مِنْ أَسْفَلِ ٱلرَّأْسِ وَٱلْعُنُقِ إِلَى أَسْفَلِ ٱلطَّرَفِ ٱلْخَلْفِيِّ مِنَ ٱلْجِذْعِ وَيَتَكَوَّنُ مِنْ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ عِظَامٍ صَغِيرَةٍ تُسَمَّى ٱلْفِقَرَ يَتَّصِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَبَيْنَ كُلِّ فِقْرَةٍ وَأُخْرَى طَبَقَةٌ غُضْرُوفِيَّةٌ تُشَابِهُ عَمَلَ خُفِّ ٱلْبَعِيرِ لِتَخْفِيفِ ٱصْطِدَامِ عِظَامِ ٱلْفِقَرِ عِنْدَ ٱلْحَرَكَةِ وَفِقَرَاتُ ٱلْإِنْسَانِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَبْعٌ عُنُقِيَّةٌ تَحْمِلُ ٱلرَّأْسَ وَيَلِى هَذِهِ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ فِقْرَةً ظَهْرِيَّةً تَحْمِلُ كُلٌّ مِنْهَا ضِلْعَيْنِ وَاحِدًا مِنْ كُلِّ جَنْبٍ وَهَذِهِ ٱلْأَضْلَاعُ وَعَدَدُهَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ هِيَ ٱلَّتِي تُكَوِّنُ ٱلْقَفَصَ ٱلْعَظْمِيَّ ٱلَّذِى نُسَمِّيهِ ٱلصَّدْرَ

وَمِنْ هَذِهِ ٱلْأَضْلَاعِ سَبْعَةُ أَزْوَاجٍ تَنْضَمُّ إِلَى ٱلْأَمَامِ بِعَظْمٍ وَاحِدٍ يُسَمَّى ٱلْقَصَّ وَأَمَّا ٱلْخَمْسَةُ ٱلْبَاقِيَةُ فَلَا تَمْتَدُّ إِلَى هَذَا ٱلْعَظْمِ

وَمِنَ ٱلْغَرِيبِ أَنْ ٱلْفَقَرَاتِ فِي ٱلْأَطْفَالِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ وَفِي ٱلْكِبَارِ سِتٌّ وَعِشْرُونَ وَٱلسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ ٱلْفَقَرَاتِ ٱلْأَرْبَعَ ٱلسُّفْلَى وَتُسَمَّى ٱلْعُصْعُصِيَّةَ تَلْتَحِمُ وَتُكَوِّنُ عَظْمًا وَاحِدًا يُقَابِلُ ٱلذَّيْلَ فِي ٱلْحَيَوَانِ ٱلْأَعْجَمِ وَتَلْتَحِمُ أَيْضًا ٱلْخَمْسُ ٱلْفَقَرَاتُ ٱلَّتِي تَلِيهَا مِنْ فَوْقُ وَتُسَمَّى ٱلْفَقَرَاتِ ٱلْعَجُزِيَّةَ فَتُكَوِّنُ عَظْمًا وَاحِدًا يُسَمَّى ٱلْعَجُزَ وَفَوْقَ ٱلْعَجُزِ خَمْسُ فَقَرَاتٍ تُسَمَّى ٱلْفَقَرَاتِ ٱلْقَطَنِيَّةَ وَأَمَّا ٱلْحَوْضُ فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ ٱلدَّائِرَةِ ٱلَّتِي تَتَكَوَّنُ بِالْتِحَامِ عَظْمِ ٱلْحَرْقَفَةِ بِعَظْمِ ٱلْعَجُزِ أَسْفَلَ ٱلْعَمُودِ ٱلْفَقْرِيِّ

وَٱلْأَطْرَافُ أَرْبَعَةٌ ٱثْنَانِ عُلْوِيَّانِ وَٱثْنَانِ سُفْلِيَّانِ وَيَتَكَوَّنُ كُلُّ طَرَفٍ مِنَ ٱلطَّرَفَيْنِ ٱلْعُلْوِيَّيْنِ مِنْ ذِرَاعٍ

وَساعدٍ وَيَدٍ وَيَتَكَوَّنُ كُلٌّ مِنَ الطَّرَفَيْنِ السُّفْلِيَّيْنِ مِنْ ثَلاثةِ أجزاءٍ وَهِيَ الْفَخِذُ وَالسَّاقُ وَالْقَدَمُ

﴿ ١٢ – التَّارِيخُ (١) ﴾

حَضَارَةٌ أَقَاصِيصُ الِامْتِهَانُ تَدْوِينٌ .
مُنَسَّقَةٌ الرَّحَّالَةُ رِقَاعٌ الذَّائِعُ

كَانَ التَّارِيخُ فِي أَوَّلِ حَضَارَةِ الدُّنْيَا حِكَايَاتٍ وَأَقَاصِيصَ يَتَنَاقَلُهَا النَّاسُ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ وَيُلْبِسُونَهَا مِنَ الزُّخْرُفِ وَالْغَرَابَةِ ثَوْباً يَجْعَلُ جُلَّهَا مُسْتَحِيلاً لَا يَلْقَى إِلاَّ التَّكْذِيبَ وَالِامْتِهَانَ لِأَنَّ النَّقْلَ بِاللِّسَانِ عُرْضَةٌ لِلتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ حَتَّى إِذَا مَا ابْتُدِعَتِ الْكِتَابَةُ سَارَعَ النَّاسُ إِلَى تَدْوِينِ أَعْمَالِهِمْ إِنْ كَانُوا عِظَاماً أَوْ تَدْوِينِ الْحَوَادِثِ الْعَظِيمَةِ إِذَا تَرَكَتْ أَثَراً فِي نُفُوسِهِمْ

وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ عِلْمَ التَّارِيخِ غَيْرُ مَعْرُوفٍ وَلَكِنَّ قُدَمَاءَ الْمِصْرِيِّينَ كَانُوا أَكْثَرَ النَّاسِ مَيْلاً إِلَى تَدْوِينِ

عاداتهم وصنائعهم وحوادثهم بالكتابة التصويرية تارة بالنقش على الأحجار كما يرى الآن في معابدهم وآثار أبنيتهم وطورا على رقاع البردى المودعة في كثير من المتاحف وأول كتاب مقدس دونت فيه الحوادث والوقائع التاريخية بطريقة منسقة هو التوراة ويقال إنها كتبت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وفي القرن العاشر قبل الميلاد نظم هومرس الشاعر اليوناني الشهير شعره القصصي الذي ضمنه تاريخ اليونان القديم وانتصارهم على أمم الأرض المعروفة في ذلك الزمان وما أتاه أبطال اليونان من تمجيد الأعمال التي أكسبت اليونانيين عطف أوربا واحترامها وأول من كتب التاريخ على الطريقة العلمية هو هيرودتس الرحالة الذائع الصيت الملقب بأبي التاريخ وقد ضمن كتابه تاريخ الأمم القديمة إلى عهده في القرن الخامس

قَبلَ ٱلمِيلَادِ

﴿ ١٣ — ٱلتَّارِيخُ (٢) ﴾

عُمْدَةٌ كَهَنَةٌ عِبْرَانِيٌّ أُستُقْصِيَ

زُهَاءٌ حَذَا

فِي ٱلقَرْنِ ٱلرَّابِعِ قَبلَ ٱلمِيلَادِ ظَهَرَ مُؤَرِّخٌ ٱسْمُهُ تِسيَاسُ وَهُوَ طَبِيبٌ فَارِسِيٌّ كَتَبَ كِتَابًا فِي تَارِيخِ ٱلفُرْسِ ٱلقَدِيمِ

وَهُومِيرُسُ وَهِيرُودُتَسُ وَتِسيَاسُ هُمْ عُمْدَةُ ٱلتَّارِيخِ ٱلقَدِيمِ وَإِلَيْهِمُ ٱلمَرْجِعُ فِي تَحْقِيقِ ٱلحَوَادِثِ ٱلتَّارِيخِيَّةِ ٱلقَدِيمَةِ فِيمَا عَدَا ٱلتَّارِيخَ ٱلمُقَدَّسَ وَقَدْ حَذَا حَذْوَ هَؤُلَاءِ كَثِيرُونَ مِمَّنْ جَاءُوا بَعْدَهُمْ وَفِي جُمْلَتِهِمْ سِيَاتِنْسُوسُ أَحَدُ كَهَنَةِ ٱلمِصْرِيِّينَ فِي ٱلقَرْنِ ٱلثَّالِثِ قَبلَ ٱلمِيلَادِ وَكَتَبَ تَارِيخًا عَنْ مِصْرَ لَمْ يَصِلْنَا مِنْهُ إِلَّا مَا نَقَلَهُ مُؤَرِّخٌ عِبْرَانِيٌّ عَنْهُ وَظَهَرَ بَعْدَ هَذَا مِيتُودُرُسُ ٱلصِّقِلِّيُّ نَحْوَ زَمَنِ ٱلمِيلَادِ

****

وَشَاعَ عِلْمُ ٱلتَّارِيخِ فِي سَائِرِ ٱلْأَقْطَارِ وَأَقْبَلَ ٱلنَّاسُ عَلَى قِرَاءَتِهِ فَنَشَأَ ٱلْمُؤَرِّخُونَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ ٱلْمُتَحَضِّرَةِ

وَأَمَّا مَا جَاءَ بِهِ ٱلْقُرْآنُ ٱلْحَكِيمُ مِنَ ٱلْقِصَصِ وَٱلْأَخْبَارِ فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا آيَاتٍ أَطْلَعَ ٱللهُ عَلَيْهَا عِبَادَهُ لِتَكُونَ لَهُمْ هُدًى وَرَحْمَةً وَعِبْرَةً وَذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ

وَقَدْ نَبَغَ فِي ٱلتَّارِيخِ مِنَ ٱلْعَرَبِ كَثِيرُونَ ٱسْتُقْصِيَ مَا أَلَّفُوهُ بِاللُّغَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ فَبَلَغَ زُهَاءَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ كِتَابٍ مِنْهَا مَا هُوَ خَاصٌّ بِنَحْوِ بَلْدَةٍ أَوْ فَرْدٍ مِنَ ٱلنَّاسِ وَمِنْهَا مَا هُوَ عَامٌّ وَأَشْهَرُهَا تَارِيخُ ٱلْمَسْعُودِيِّ وَتَارِيخُ ٱبْنِ جَرِيرٍ ٱلطَّبَرِيِّ وَابْنِ خَلْدُونٍ وَٱبْنِ خِلِّكَانَ وَٱبْنِ ٱلْأَثِيرِ وَأَبِي ٱلْفِدَاءِ وَٱلْمَقْرِيزِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَهَؤُلَاءِ ثِقَاتُ تَارِيخِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَعُمْدَةُ مُؤَرِّخِيهِمْ

« ١٤ — اَلِاعْتِرَافُ بِالْجَمِيلِ »

بِطَانَةٌ   اَلْخَوَارِجُ   مُوَلٍّ   قِلَادَةٌ

صِلَةٌ

كَانَ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْمَنْصُورُ يَتَطَلَّعُ إِلَى ٱلْإِحَاطَةِ بِأُمُورِ ٱلنَّاسِ عُمُوماً وَإِلَى مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ بَنِي أُمَيَّةَ خُصُوصاً فَبَلَغَهُ أَنَّ مِنْ مَشَايِخِ أَهْلِ ٱلشَّامِ شَيْخاً مَعْرُوفاً وَكَانَ بِطَانَةً لِهِشَامِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ٱلْمَنْصُورُ وَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ تَدْبِيرِ هِشَامٍ فِي حُرُوبِهِ مَعَ ٱلْخَوَارِجِ فَوَصَفَ لَهُ ٱلشَّيْخُ مَا دَبَّرَ وَقَالَ « فَعَلَ رَحِمَهُ ٱللهُ كَذَا وَكَذَا » فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ « قُمْ عَنِّي تَطَأُ بِسَاطِي وَتَتَرَحَّمُ عَلَى عَدُوِّي » فَقَالَ ٱلرَّجُلُ وَهُوَ مُوَلٍّ يُرِيدُ ٱلْخُرُوجَ « إِنَّ نِعْمَةَ عَدُوِّكَ لَقِلَادَةٌ فِي عُنُقِي لَا يَنْزِعُهَا إِلَّا غَاسِلٌ » فَلَمَّا سَمِعَهُ ٱلْمَنْصُورُ قَالَ « رُدُّوهُ » فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ « يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لُؤْماً مَنْ لَمْ يَجْعَلْ دُعَاءَهُ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَثَنَاءَهُ عَلَيْهِ وَحَمْدَهُ لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَهُ وَفَاءً لَهُ وَلَوْ أَمْكَنَنِي ٱلْقَدَرُ وَأَقْدَرَنِي ٱلْقَضَاءُ عَلَى

ٱلْوَفَاءِ لِهِشَامٍ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ لَوَجَدَنِي أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَافِيًا لَهُ بِهِ » فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ « ٱرْجِعْ يَاشَيْخُ إِلَى تَمَامِ حَدِيثِكَ » ثُمَّ أَقْبَلَ ٱلْمَنْصُورُ عَلَى حَدِيثِهِ إِلَى أَنْ فَرَغَ فَدَعَا ٱلْمَنْصُورُ بِمَالٍ وَكُسْوَةٍ وَقَالَ « خُذْ هَذَا صِلَةً مِنَّا لَكَ » فَأَخَذَ ذَلِكَ وَقَالَ « وَٱللهِ يَاأَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَابِي مِنْ حَاجَةٍ وَلَقَدْ مَاتَ عَنِّي مَنْ كُنْتُ فِي ذِكْرِهِ فَمَا أَحْوَجَنِي إِلَى وُقُوفِي عَلَى بَابِ أَحَدٍ بَعْدَهُ وَلَوْلَا جَلَالُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلُزُومُ طَاعَتِهِ وَإِيثَارُ أَمْرِهِ لَمَا لَبِسْتُ نِعْمَةَ أَحَدٍ بَعْدَهُ » فَقَالَ ٱلْمَنْصُورُ « لِلهِ أَنْتَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِقَوْمِهِ غَيْرُكَ لَكُنْتَ أَبْقَيْتَ لَهُمْ ذِكْرًا مُخَلَّدًا وَمَجْدًا بَاقِيًا بِوَفَائِكَ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ »

(العقد الفريد للملك السعيد)

« ١٥ — (١) يَعْسُوبُ ٱلنَّحْلِ »

بُنْيَةٌ　　مُدْمَجٌ　　مُكْتَنَفَاتٌ　　حُمَةٌ

اَلرَّخَاوَةُ   أَتَنَسَّمُ   أَزْجُرُ



إِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى جَعَلَ بُنْيَةَ جَسَدِى ثَلَاثَةَ مَفَاصِلَ مَحْزُوزَةٍ فَجَعَلَ وَسَطَ جَسَدِي مُرَبَّعًا مُكَعَّبًا وَمُؤَخَّرَ جَسَدِي مُدْمَجًا مَخْرُوطًا وَرَأْسِي مُدَوَّرًا مَبْسُوطًا وَرَكَّبَ فِي وَسَطِي أَرْبَعَ أَرْجُلٍ وَيَدَيْنِ مُتَنَاسِبَاتِ ٱلْمَقَادِيرِ كَأَضْلَاعِ ٱلشَّكْلِ ٱلْمُسَدَّسِ فِي ٱلدَّائِرَةِ لِأَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى ٱلْقِيَامِ وَٱلْقُعُودِ وَٱلْوُقُوعِ وَٱلنُّهُوضِ وَأَقْدَرَ بِنَاءَ أَسَاسِ مَنْزِلِي وَبُيُوتِي عَلَى أَشْكَالٍ مُسَدَّسَاتٍ مُكْتَنَفَاتٍ كَيْ لَا يَدْخُلَهَا ٱلْهَوَاءُ فَيَضُرَّ بِأَوْلَادِي أَوْ يُفْسِدَ شَرَابِي ٱلَّذِي هُوَ قُوتِي وَذَخَائِرِي وَبِهٰذِهِ ٱلْأَرْبَعِ ٱلْأَرْجُلِ وَٱلْيَدَيْنِ أَجْمَعُ مِنْ وَرَقِ ٱلْأَشْجَارِ وَٱلزَّهْرِ وَٱلثِّمَارِ ٱلرُّطُوبَاتِ ٱلدُّهْنِيَّةَ

وَجَعَلَ عَلَى كَتِفَيَّ أَرْبَعَةَ أَجْنِحَةٍ خَفِيفَةٍ حريرية لِأَسِيحَ فِي ٱلطَّيَرَانِ فِي جَوِّ ٱلسَّمَاءِ وجعلَ مُؤَخَّرَ بدنى مَخْرُوطَ ٱلشَّكْلِ مُجَوَّفًا مُدْمَجًا مَمْلُوءًا هَوَاءً لِيَكُونَ مُوَازِيًا لِثِقَلِ رَأْسِي فِي ٱلطَّيَرَانِ وَجَعَلَ لِي حُمَةً حَادَّةً كَأَنَّهَا شَوْكَةٌ وَجَعَلَهَا سِلَاحًا لِي لِأُخَوِّفَ بِهَا أَعْدَائِي وَأَزْجُرَ بِهَا مَنْ يَتَعَرَّضُ لِي أَوْ يُؤْذِينِي وَجَعَلَ رَقَبَتِي دَقِيقَةً لِيَسْهُلَ بِهَا تَحْرِيكُ رَأْسِي يَمْنَةً وَيَسْرَةً وَجَعَلَ رَأْسِي مُدَوَّرًا عَرِيضًا وَفِي جَنْبَيْهِ عَيْنَيْنِ بَرَّاقَتَيْنِ كَأَنَّهُمَا مِرْآتَانِ مَجْلُوَّتَانِ وَجَعَلَهُمَا آلَةً لِي لِإِدْرَاكِ ٱلْمَرْئِيَّاتِ وَٱلْمُبْصَرَاتِ مِنَ ٱلْأَلْوَانِ وَٱلْأَشْكَالِ فِي ٱلْأَنْوَارِ وَٱلظُّلُمَاتِ

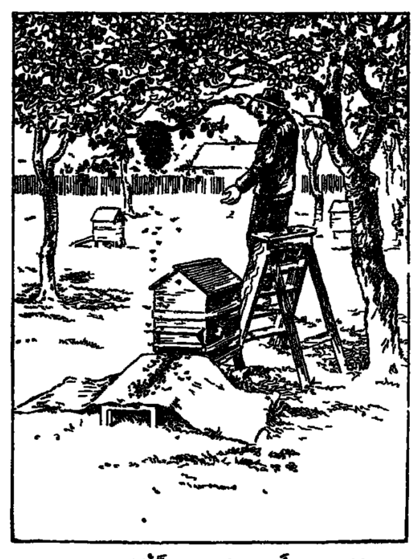
وَأَنْبَتَ عَلَى رَأْسِي شِبْهَ قَرْنَيْنِ لَطِيفَيْنِ لَيِّنَيْنِ وَجَعَلَهُمَا آلَةً لِي لِأُحِسَّ بِهِمَا ٱلْمَلْمُوسَاتِ فَأُمَيِّزَ ٱللُّيُونَةَ مِنَ ٱلْخُشُونَةِ وَٱلصَّلَابَةَ مِنَ ٱلرَّخَاوَةِ وَٱلرُّطُوبَةَ مِنَ ٱلْيُبُوسَةِ وَفَتَحَ لِي مَنْخَرَيْنِ أَتَنَسَّمُ بِهِمَا ٱلرَّوَائِحَ ٱلطَّيِّبَاتِ

(رسائل اخوان الصفا)

﴿ ١٦ — يَعسُوبُ ٱلنَّحلِ (٢) ﴾

مِشفَرٌ ضُرُوعٌ سائغٌ ٱلدّحالُ
يَستَأثِرُ ٱلمُضطرُّ وَهبٌ ٱلذّفوفُ
ٱلدّنِسُ

وَجَعَلَ لى فَماً مفتُوحاً فِيهِ قُوَّةٌ ذَائِقَةٌ أَتعرّفُ بِها ٱلطُّعُومَ ٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلمَطعُومَاتِ ٱلمأكُولاتِ وَٱلمَشرُوبَاتِ وَجَعَلَ لِى مِشفَرَينِ حادَّينِ أَجمَعُ بِهِمامِنْ ثَمَرِ ٱلأَشجَارِ وَمِنْ وَرَقِ ٱلنَّبَاتِ وَٱلأَزهَارِ وَأَنوَارِ ٱلأَشجَارِ رُطُوبَاتٍ لَطِيفَـةً وَجَعَلَ فِي جَوفِنَا قُوَّةً جَاذِبَةً وَمَاسِكَةً وَهَاضِمَةً طَابِخَةً وَمُنضِجَةً تُصَيِّرُ تِلكَ ٱلرُّطُوبَاتِ عَسَلاً حُلوًا لَذِيذًا شَرَابًا صَافِياً غِذَاءً لِى وَلِأَولَادِى وَذُخرًا وَعَونًا لِشَتوَتِنَا كَمَا جَعَلَ فى ضُرُوعِ ٱلأَنعَامِ قُوَّةً هَاضِمَةً تُصَيِّرُ ٱلدَّمَ لَبَنًا خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ



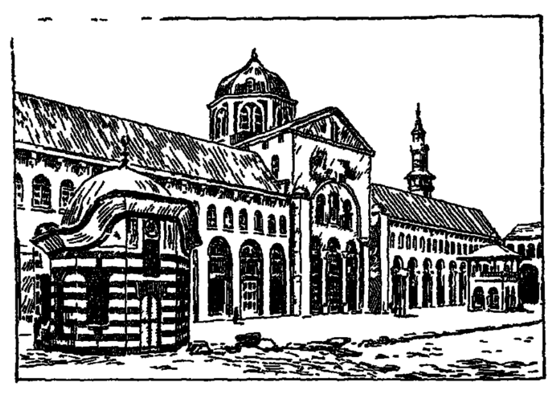
وَلِي جُنُودٌ وَأَعْوَانٌ وَرَعِيَّةٌ آوِي بِهِمْ فِي رُءُوسِ
ٱلْجِبَالِ وَالتِّلَالِ وَبَيْنَ ٱلْأَشْجَارِ وَالدِّحَالِ وَمِنَّامَنْ يُجَاوِرُ
بَنِي آدَمَ فِي مَنَازِلِهِمْ وَدِيَارِهِمْ فَأَمَّا مَنْ بَعُدَمِنَّا عَنْهُمْ فَسَلِمَ
عَلَى ٱلْأَمْرِ ٱلْأَكْثَرِ وَلَكِنْ رُبَّمَا يَجِيئُونَ إِلَيْنَا فِى طَلَبِنَا
وَيَتَعَرَّضُونَ لَنَا بِالْأَذِيَّةِ وَإِذَا ظَفِرُوا بِنَا خَرَّبُوا مَنَازِلَنَا
وَهَدَّمُوا بُيُوتَنَا وَلَمْ يُبَالُوا أَنْ يَقْتُلُوا أَوْلَادَنَا وَيَأْخُذُوا

مَكَاسِبَنَا وَذَخَائِرَنَا وَيَتَقَاسَمُوهَا وَيَسْتَأْثِرُوا بِهَا دُونَنَا وَنَحْنُ نَصْبِرُ صَبْرَ ٱلْمُضْطَرِّ تَارَةً كَرْهاً وَتَارَةً رَهَباً وَتَسْلِيماً إِنْ عَصَيْنَا وَهَرَبْنَا وَتَبَاعَدْنَا جَاؤُوا خَلْفَنَا يَطْلُبُونَ ٱلصُّلْحَ وَيُرْضُونَنَا بِٱلْهَدَايَا مِنَ ٱلْعِطْرِ وَبِأَلْوَانٍ مِنَ ٱلْحِيَلِ مِنْ أَصْوَاتِ ٱلطُّبُولِ وَٱلدُّفُوفِ وَٱلزُّمُورِ وَٱلْهَدَايَا ٱلْمُزَخْرَفَةِ مِنَ ٱلدِّبْسِ وَٱلتَّمْرِ فَنُصَالِحُهُمْ لِمَا فِي طِبَاعِنَا مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا فِي صُدُورِنَا مِنَ ٱلسَّلَامَةِ وَقِلَّةِ ٱلْحِقْدِ وَٱلْحَمِيَّةِ

(رسائل اخوان الصفا)

﴿ ١٧ ٱلْجَامِعُ ٱلْأُمَوِيُّ بِدِمَشْقَ (١) ﴾

اِحْتِفَالٌ	ٱلْفُسَيْفِسَاءُ	ذَرْعٌ	شَمْسَاتٌ
سَارِيَةٌ	مَحَارِيبُ	ٱلْعَشَايَا	مُرَصَّعٌ
جِصِّيَّةٌ	يَمُجُّ		



اَلْجَامِعُ ٱلْأُمَوِىُّ هُوَ أَعْظَمُ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا ٱحْتِفَالاً وَأَتْقَنُهَا صِنَاعَةً وَأَبْدَعُهَا حُسْناً وَبَهْجَةً وَكَمَالاً وَلاَ يُعْلَمُ لَهُ نَظِيرٌ وَلاَ يُوجَدُ لَهُ شَبِيهٌ وَكَانَ ٱلَّذِى تَوَلَّى بِنَاءَهُ وَإِتْقَانَهُ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَوَجَّهَ إِلَى مَلِكِ ٱلرُّومِ بِٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَبْعَثَ لَهُ ٱلصُّنَّاعَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ ٱثْنَىْ عَشَرَ أَلْفَ صَانِعٍ وَكَانَ مَوْضِعُ ٱلْمَسْجِدِ كَنِيسَةً قَدِيمَةً لِلرُّومِ وَقَدْ زُيِّنَ هٰذَا ٱلْمَسْجِدُ بِفُصُوصِ ٱلذَّهَبِ ٱلْمَعْرُوفَةِ بِٱلْفُسَيْفِسَاءِ تُخَالِطُهَا أَنْوَاعُ

ٱلْأَصْبِغَةِ ٱلْغَرِيبَةِ ٱلْحُسْنِ وَذَرْعُ ٱلْمَسْجِدِ فِى ٱلطُّولِ مِنَ ٱلشَّرْقِ إِلَى ٱلْغَرْبِ مِائَتَا خُطْوَةٍ وَهِيَ ثَلَثُمِائَةِ ذِرَاعٍ وَعَرْضُهُ مِنَ ٱلْقِبْلَةِ إِلَى ٱلْجَوْفِ مِائَةٌ وَخَمْسٌ وَثَلَاثُونَ خُطْوَةً وَهِيَ مِائَتَا ذِرَاعٍ وَعَدَدُ شَمْسَاتِ ٱلزُّجَاجِ ٱلْمُلَوَّنَةِ ٱلَّتِي فِيهِ أَرْبَعٌ وَسَبْعُونَ وَبَلَاطَاتُهُ ثَلَاثٌ مُسْتَطِيلَةٌ مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ سَعَةُ كُلِّ بَلَاطَةٍ مِنْهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ خُطْوَةً وَقَدْ قَامَتْ عَلَى أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ سَارِيَةً وَثَمَانِي أَرْجُلٍ جِصِّيَّةٍ تَتَخَلَّلُهَا وَسِتِّ أَرْجُلٍ مُرَخَّمَةٍ مُرَصَّعَةٍ بِٱلرُّخَامِ ٱلْمُلَوَّنِ قَدْ صُوِّرَ فِيهَا أَشْكَالُ مَحَارِيبَ وَسِوَاهَا وَهِيَ تُقِلُّ قُبَّةَ ٱلرَّصَاصِ ٱلَّتِي أَمَامَ ٱلْمِحْرَابِ ٱلْمُسَمَّاةَ بِقُبَّةِ ٱلنَّسْرِ وَهِيَ مِنْ أَعْجَبِ مَبَانِي ٱلدُّنْيَا وَسَعَةُ ٱلصَّحْنِ مِائَةُ ذِرَاعٍ وَهُوَ مِنْ أَجْمَلِ ٱلْمَنَاظِرِ وَأَتَمِّهَا صُنْعًا وَبِهِ يَجْتَمِعُ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ بِٱلْعَشَايَا فَمِنْ قَارِئٍ وَمُحَدِّثٍ وَذَاهِبٍ وَيَكُونُ ٱنْصِرَافُهُمْ بَعْدَ ٱلْعِشَاءِ وَفِي هٰذَا ٱلصَّحْنِ ثَلَاثٌ مِنَ ٱلْقِبَابِ أَكْبَرُهَا فِي

غَرْبِهِ وَتُسَمَّى قُبَّةَ عَائِشَةَ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْقُبَّةُ ٱلثَّانِيَةُ فِي ٱلشَّرْقِ وَهِيَ أَصْغَرُ مِنْهَا وَتُسَمَّى قُبَّةَ زَيْنِ ٱلْعَابِدِينَ وَٱلثَّالِثَةُ فِي ٱلْوَسَطِ وَهِيَ صَغِيرَةٌ مُثَمَّنَةٌ مِنْ رُخَامٍ عَجِيبٍ مُحْكَمِ ٱلِٱلْتِصَاقِ وَتَحْتَهَا شُبَّاكُ حَدِيدٍ فِي وَسَطِهِ أُنْبُوبُ نُحَاسٍ يَمُجُّ ٱلْمَاءَ إِلَى عُلْوٍ فَيَرْتَفِعُ ثُمَّ يَنْثَنِي كَأَنَّهُ قَضِيبُ لُجَيْنٍ وَهُمْ يُسَمُّونَهُ قَفَصَ ٱلْمَاءِ وَيَسْتَحْسِنُ ٱلنَّاسُ وَضْعَ أَفْوَاهِهِمْ فِيهِ لِلشُّرْبِ

(ابن بطوطة)

﴿ ١٨ – ٱلْجَامِعُ ٱلْأُمَوِيُّ بِدِمَشْقَ (٢) ﴾

يُفْضِي ٱلْمَقْصُورَةُ صَوَامِعُ صِهْرِيجٌ
تَابُوتٌ مُعْلَمٌ إِثْرٌ

هَذَا ٱلْمَسْجِدُ شَهِيرُ ٱلْفَضْلِ وَيُقَالُ إِنَّ ٱلْجِدَارَ ٱلْقِبْلِيَّ مِنْهُ وَضَعَهُ نَبِيُّ ٱللهِ هُودٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَإِنَّ قَبْرَهُ بِهِ وَيُرَى بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ ٱلْأَحْقَافُ مَكْتُوباً عَلَيْهِ « هَذَا قَبْرُ

هُودِ بْنِ عَامِرٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَفِي ٱلْجَانِبِ ٱلشَّرْقِيِّ
مِنَ ٱلصَّحْنِ بَابٌ يُفْضِي إِلَى ٱلْمَسْجِدِ بَدِيعُ ٱلْوَضْعِ يُسَمَّى
مَشْهَدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وَيُقَابِلُهُ مِنَ ٱلْجِهَةِ
ٱلْغَرْبِيَّةِ حَيْثُ يَلْتَقِي ٱلْبَلَاطَانِ ٱلْغَرْبِيُّ وَٱلْجَوْفِيُّ مَوْضِعٌ يُقَالُ
إِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا سَمِعَتِ ٱلْحَدِيثَ هُنَاكَ وَفِي قِبْلَةِ
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْمَقْصُورَةُ ٱلْعُظْمَى ٱلَّتِي يَؤُمُّ فِيهَا إِمَامُ ٱلشَّافِعِيَّةِ
وَفِي ٱلرُّكْنِ ٱلشَّرْقِيِّ مِنْهَا إِزَاءَ ٱلْمِحْرَابِ خِزَانَةٌ كَبِيرَةٌ
فِيهَا ٱلْمُصْحَفُ ٱلْكَرِيمُ ٱلَّذِي وَجَّهَهُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ
عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إِلَى ٱلشَّامِ وَتُفْتَحُ تِلْكَ
ٱلْخِزَانَةُ كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ بَعْدَ ٱلصَّلَاةِ فَيَزْدَحِمُ ٱلنَّاسُ عَلَى
لَثْمِ ذَلِكَ ٱلْمُصْحَفِ ٱلْكَرِيمِ وَهُنَاكَ يُحَلِّفُ ٱلنَّاسُ
غُرَمَاءَهُمْ وَمَنِ ٱدَّعَوْا عَلَيْهِ شَيْئًا وَعَنْ يَسَارِ ٱلْمَقْصُورَةِ
مِحْرَابُ ٱلصَّحَابَةِ وَيَذْكُرُ أَهْلُ ٱلتَّارِيخِ أَنَّهُ أَوَّلُ مِحْرَابٍ
وُضِعَ فِي ٱلْإِسْلَامِ وَعَنْ يَمِينِ ٱلْمَقْصُورَةِ مِحْرَابُ ٱلْحَنَفِيَّةِ

وَيَلِيهِ مِحْرَابُ ٱلْحَنَابِلَةِ

وَلِهَذَا ٱلْمَسْجِدِ ثَلَاثُ صَوَامِعَ ٱثْنَتَانِ مِنْهَا مِنْ بِنَاءِ ٱلرُّومِ وَٱلثَّالِثَةُ مِنْ بِنَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَفِي شَرْقِ ٱلْمَسْجِدِ مَقْصُورَةٌ كَبِيرَةٌ فِيهَا صِهْرِيجُ مَاءٍ وَفِي وَسَطِ ٱلْمَسْجِدِ قَبْرُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَعَلَيْهِ تَابُوتٌ مُعْتَرِضٌ بَيْنَ أُسْطُوَانَتَيْنِ مَكْسُوٌّ بِثَوْبِ حَرِيرٍ أَسْوَدَ مُعْلَمٍ مَكْتُوبٍ فِيهِ بِالْأَبْيَضِ (يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ٱسْمُهُ يَحْيَى) وَفِي هَذَا ٱلْمَسْجِدِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ بَابٌ قِبْلِيٌّ يُعْرَفُ بِبَابِ ٱلزِّيَارَةِ وَبِأَعْلَاهُ قِطْعَةٌ مِنَ ٱلرُّمْحِ ٱلَّذِي كَانَتْ فِيهِ رَايَةُ خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ وَبَابٌ شَرْقِيٌّ وَهُوَ أَعْظَمُ أَبْوَابِ ٱلْمَسْجِدِ وَيُسَمَّى بَابَ جَيْرُونَ وَفِي جِهَةِ ٱلْيَسَارِ مِنْهُ مَشْهَدٌ عَظِيمٌ كَانَ فِيهِ رَأْسُ ٱلْحُسَيْنِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَٱلْبَابُ ٱلْغَرْبِيُّ يُعْرَفُ بِبَابِ ٱلْبَرِيدِ وَعَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَرْبَعَةِ دَارُ وُضُوءٍ يَكُونُ فِيهَا

نَحْوُ مِائَةِ بَيْتٍ تَجْرِي فِيهَا ٱلْمِيَاهُ ٱلْكَثِيرَةُ

وَمِنْ فَضَائِلِ هٰذَا ٱلْمَسْجِدِ أَنَّهُ لَا يَخْلُو عَنْ قِرَاءَةِ ٱلْقُرْآنِ وَٱلصَّلَاةِ إِلَّا قَلِيلاً مِنَ ٱلزَّمَانِ وَٱلنَّاسُ يَجْتَمِعُونَ بِهِ كُلَّ يَوْمٍ إِثْرَ صَلَاةِ ٱلصُّبْحِ فَيَقْرَءُونَ شَيْئاً مِنَ ٱلْقُرْآنِ وَبَعْدَ صَلَاةِ ٱلْعَصْرِ لِقِرَاءَةِ ٱلْكَوْثَرِيَّةِ يَقْرَءُونَ فِيهَا مِنْ سُورَةِ ٱلْكَوْثَرِ إِلَى آخِرِ ٱلْقُرْآنِ وَلِلْمُجْتَمِعِينَ عَلَى هٰذِهِ ٱلْقِرَاءَةِ مُرَتَّبَاتٌ تَجْرِي لَهُمْ وَهُمْ نَحْوُ سِتِّمِائَةِ إِنْسَانٍ وَفِي هٰذَا ٱلْمَسْجِدِ جَمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ ٱلْمُجَاوِرِينَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ وَأَهْلُ ٱلْبَلَدِ يُعِينُونَهُمْ بِٱلْمَطَاعِمِ وَٱلْمَلَابِسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلُوهُمْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ

(ابن بطوطة)

❊ ١٩ — سَيِّدُنَا نُوحٌ ❊

تَبْتَئِسُ   ٱلتَّنُّورُ   يَعْصِمُ   غيض

ٱلْجُودِيُّ

« وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ
مَنْ قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ
بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ
وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ
قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ
عَذَابٌ مُقِيمٌ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا
مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ
الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ وَقَالَ ارْكَبُوا
فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَهِيَ
تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي
مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ
قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ
الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ

فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ
أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ
وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ
قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا
تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ
ٱلْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي
بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ قِيلَ
يَا نُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ
مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ تِلْكَ مِنْ
أَنْبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِنْ قَبْلِ هَذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

(القرآن الكريم)

﴿ ٢٠ — الْكَهْرُبَاءُ ﴾

اَلْعَرْكُ	كِيمْيَاوِيَّةٌ	اجْتِيَازٌ	اَلنَّائِيَةُ
غِمَارٌ	بَرْزَخٌ	اَلْجَارِفُ	اَلْعَقَبَاتُ
اَلْمَطَاطُ			

مِنْ جُمْلَةِ الْقُوَى الْعَظِيمَةِ الَّتِي اسْتَخْدَمَهَا الْإِنْسَانُ فِي قَضَاءِ حَاجَاتِهِ وَمَآرِبِهِ رُوحٌ مِنَ الْأَرْوَاحِ الْخَفِيَّةِ وَسِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ الْبَارِىءِ الْمُبْدِعِ لَا هِيَ بِالْجِسْمِ فَتُحَسَّ وَلَا بِالرِّيحِ فَتُشَمَّ بَلْ هِيَ كَالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي لَا يَظْهَرُ مِنْهَا إِلَّا أَثَرُهَا وَمَا تَأْتِيهِ مِنْ جَلَائِلِ الْأَعْمَالِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا فِي كُلِّ كَائِنٍ وَتَظْهَرُ فِيهِ بِالْاحْتِكَاكِ وَالْعَرْكِ وَبِوَسَائِطَ أُخْرَى كِيمْيَاوِيَّةٍ غَيْرِ آلِيَّةٍ وَتَسِيلُ وَتَجْرِي جَرْيًا سَرِيعًا فِي بَعْضِ الْأَجْسَامِ وَبَطِيئًا فِي غَيْرِهَا وَمِنَ الْأَجْسَامِ مَا يَصُدُّهَا وَيُوقِفُهَا فَلَا تَتَعَدَّاهُ

تِلْكَ الْقُوَّةُ هِيَ الْكَهْرُبَاءُ الَّتِي اسْتُخْدِمَتْ فِي سَائِرِ

ٱلْأَعْمَالِ كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا عَظِيمِهَا وَحَقِيرِهَا وَتَفَرَّدَتْ عَنْ غَيْرِهَا مِنَ ٱلْقُوَى بِٱجْتِيَازِ ٱلْأَبْعَادِ ٱلنَّائِيَةِ وَشَقِّ غِمَارِ ٱلْبِحَارِ حَتَّى لَقَدْ أَصْبَحَ بِهَا ٱلْإِنْسَانُ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُحَادِثَ صَدِيقَهُ بِٱلتِّلِفُونِ وَبَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ بَعِيدُ ٱلْمَدَى وَأَنْ يُكَاتِبَهُ بِٱلتِّلِغْرَافِ فِي لَمْحَةٍ مِصْدَاقًا لِقَوْلِ ٱلْعَامَّةِ «غَمِّضْ عَيْنَكَ وَٱفْتَحْهَا تَرَ ٱلْأَمْرَ قَدْ وَقَعَ»

وَٱلْكَهْرُبَاءُ صِنْفَانِ لَا يَكَادُ يُؤَثِّرُ ٱلْوَاحِدُ مِنْهُمَا عَلَى ٱنْفِرَادِهِ وَمَتَى ٱجْتَمَعَا بِٱلْمُلَامَسَةِ لَمْ يَقْوَ شَيْءٌ عَلَى صَدِّ تَيَّارِهِمَا ٱلْجَارِفِ بَلِ ٱجْتَازَا كُلَّ مَا يَعْتَرِيهِمَا مِنَ ٱلْعَقَبَاتِ طَوْعَ أَمْرِ ٱلْمُدَبِّرِ لَهُمَا

وَلَمَّا أَدْرَكَ ٱلنَّاسُ مِنْ صِنْفَيِ ٱلْكَهْرُبَاءِ شِدَّةَ مَيْلِهِمَا إِلَى ٱلتَّوَاصُلِ وَٱلِٱجْتِمَاعِ صَنَعُوا ٱلْعُدَدَ وَٱلْآلَاتِ بِحَيْثُ يُجْمَعُ بَيْنَ ٱلصِّنْفَيْنِ مَتَى طُلِبَ ٱلْعَمَلُ وَيُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا مَتَى طُلِبَ ٱلْوُقُوفُ فَيَسِيرَانِ فِي سِلْكَيْنِ دَقِيقَيْنِ

مُجْتَمِعَيْنِ فِي ٱلنِّهَايَةِ مُفْتَرِقَيْنِ فِي ٱلْمَبْدَإِ ٱلَّذِي قَدْ رُكِّبَ عَلَيْهِ زِرٌّ إِذَا حُرِّكَ جَمَعَ بَيْنَ ٱلسِّلْكَيْنِ وَأَثَّرَتِ ٱلْكَهْرُبَاءُ تَأْثِيرَهَا ٱلْمَطْلُوبَ وَإِذَا أُعِيدَ فَرَقَ بَيْنَهُمَا فَانْقَطَعَ ٱلْعَمَلُ وَتُغَلَّفُ ٱلْأَسْلَاكُ وَٱلْعُدَدُ ٱلَّتِي تَمُرُّ فِيهَا ٱلْكَهْرُبَاءُ بِغُلُفٍ مِنَ ٱلْحَرِيرِ أَوِ ٱلْمَطَاطِ لِكَيْلَا تُؤْذِيَ ٱلنَّاسَ إِذَا مَسُّوهَا

﴿ ٢١ — ٱلْمَدِينَةُ ٱلْمُنَوَّرَةُ ﴾

رُوَاءٌ ٱلْمَزَاغِلُ مُقَوَّضَةٌ ٱلْمُنَاخَةُ



كَانَتِ ٱلْمَدِينَةُ فِي ٱلْقَرْنِ ٱلْأَوَّلِ لِلْهِجْرَةِ فِي غَايَةِ الرُّقِيِّ بَسَاتِينُهَا تَمْلَأُ ٱلْفَضَاءَ ٱلْمُحِيطَ بِهَا وَكَانَ لِلْقَوْمِ بِهَا رِيَاضٌ زَاهِرَةٌ وَقُصُورٌ بَاهِرَةٌ فِي وَادِي ٱلْعَقِيقِ ٱلَّذِي كَانَ يَفُورُ مَاؤُهُ وَيَبْهَرُ رُوَاؤُهُ وَتَزْهُو أَرْجَاؤُهُ وَيَكْثُرُ زَهْرُهُ وَيَفُوحُ عِطْرُهُ وَيُجْنَى ثَمَرُهُ وَأَسْوَاقُهَا مَشْحُونَةٌ بِٱلْمَتَاجِرِ ٱلْوَارِدَةِ إِلَيْهَا مِنَ ٱلْهِنْدِ وَٱلسِّنْدِ وَٱلشَّامِ وَبِلَادِ ٱلْعَجَمِ مِنْ ثِيَابِ ٱلْقُطْنِ وَٱلْحَرِيرِ وَٱلصُّوفِ وَٱلْبُسُطِ

وَتِجَارَةُ ٱلتَّمْرِ فِيهَا أَكْبَرُ ٱلتِّجَارَاتِ وَأَوْسَعُهَا لِأَنَّ أَرْبَاضَهَا فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمَزَارِعِ وَٱلْبَسَاتِينِ وَنَخِيلُهَا تُنْتِجُ نَحْوَ سَبْعِينَ صِنْفًا مِنَ ٱلتَّمْرِ يَمْتَازُ بَيْنَهَا ٱلْعَنْبَرِيُّ بِشِدَّةِ حَلَاوَتِهِ وَكَانَتْ أَبْنِيَةُ ٱلْمَدِينَةِ فِي أَوَّلِ ٱلْقَرْنِ ٱلثَّامِنِ ٱلْهِجْرِيِّ مَحْصُورَةً فِي سُورٍ بَنَاهُ حَوْلَهَا ٱلْأَمِيرُ جَمَالُ ٱلدِّينِ وَزِيرُ صَاحِبِ ٱلْمَوْصِلِ فِي مُنْتَصَفِ ٱلْقَرْنِ ٱلسَّادِسِ وَهُوَ بَاقٍ إِلَى ٱلْآنَ وَعَلَى مُحِيطِهِ ٱلْمَزَاغِلُ وَٱلْأَبْرَاجُ ٱلْمَشْحُونَةُ

بِالْمَدَافِعِ وَالذَّخَائِرِ الْحَرْبِيَّةِ لِصَدِّ هَجَمَاتِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ كَثِيراً مَا كَانُوا وَلَا يَزَالُونَ يَعْتَدُونَ عَلَى حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ وَخَارِجَ هَذَا السُّورِ سُورٌ آخَرُ دَرَسَتْ مَعَالِمُهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا جُدُرٌ مُقَوَّضَةٌ مُهَدَّمَةٌ وَيَنْزِلُ رَكْبُ الْمَحْمَلِ الْمِصْرِيِّ بَيْنَ السُّورَيْنِ فِي فَضَاءٍ اسْمُهُ الْمُنَاخَةُ

وَفِي الْمَدِينَةِ وَأَرْبَاضِهَا أَمَاكِنُ أَثَرِيَّةٌ أَلْبَسَتْهَا ذِكْرَى مَجْدِهَا الْغَابِرِ شَرَفاً وَجَلَالاً وَهَيْبَةً تَكَادُ تَتَنَزَّهُ عَنِ النَّظِيرِ وَأَشْهَرُهَا مَسْجِدُ قُبَا وَيَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ بِمَسَافَةِ خَمْسَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ وَهُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ بُنِيَ فِي الْإِسْلَامِ بَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مَا وَفَدَ إِلَيْهَا فِي هِجْرَتِهِ

وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَشْرَبُونَ مِنَ الْآبَارِ وَالْمَاءُ يَجْرِي إِلَيْهَا مِنَ الْعَيْنِ الزَّرْقَاءِ فِي أَنَابِيبَ تَتَفَرَّعُ وَتَتَشَعَّبُ فِي أَنْحَاءِ الْبَلَدِ

وَمُنَاخُهَا مُعْتَدِلٌ وَهَوَاؤُهَا طَيِّبٌ وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ مِنَ ٱلْأَسْبَابِ ٱلَّتِي سَاعَدَتْ عَلَى رِقَّةِ أَهْلِهَا وَلَطَافَةِ أَمْزِجَتِهِمْ مَعَ مَاهُمْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلصَّلَاحِ وَٱلتَّقْوَى وَٱلْأَدَبِ وَحُسْنِ ٱلْمُعَاشَرَةِ حَتَّى قِيلَ إِنَّهُمْ أَحْسَنُ أَهْلِ بِلَادِ ٱلْعَرَبِ فِي مَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ وَلَا عَجَبَ فَمُجَاوَرَتُهُمْ لِلسَّيِّدِ ٱلرَّسُولِ أَكْسَبَتْهُمْ كَثِيراً مِنْ أَخْلَاقِهِ ٱلْكَامِلَةِ عَلَى أَنَّ مَنْ يُفَكِّرْ فِي أَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ٱخْتَصَّهُمْ بِٱلْهِجْرَةِ إِلَى بَلَدِهِمْ يَحْكُمْ بِأَنَّ مَكَارِمَ ٱلْأَخْلَاقِ فِيهِمْ مِنْ زَمَنٍ بَعِيدٍ وَحَسْبُكَ أَنَّهُ أَعْلَنَ فِي حَجَّةِ ٱلْوَدَاعِ أَنَّهُ لَا يَوَدُّ ٱلْمَوْتَ إِلَّا بَيْنَ أَظْهُرِ ٱلْأَنْصَارِ وَهَؤُلَاءِ أَعْقَابُهُمُ ٱلْيَوْمَ عَلَى سُنَّتِهِمْ فَرَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ

(مقتبس من الرحلة الحجازية)

﴿ ٢٢ — اَلْحَمَاسَةُ ﴾

اَلْقِنَاعُ اللِّفَاعُ اَلْمَصَانِعُ اَلذَّوَابِلُ
اَلْهَيْجَاءُ حُسَامٌ

إِذَا كَشَفَ ٱلزَّمَانُ لَكَ ٱلْقِنَاعَا
وَمَــدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ ٱلدَّهْرِ بَاعَا
فَلَا تَخْشَ ٱلْمَنِيَّةَ وَٱقْتَحِمْهَا
وَدَافِعْ مَا ٱسْتَطَعْتَ لَهَا دِفَاعَا
وَلَا تَخْتَرْ فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ
وَلَا تَبْكِ ٱلْمَنَازِلَ وَٱلْبِقَاعَا
وَحَوْلَكَ نِسْوَةٌ يَنْدُبْنَ حُزْنًا
وَيَهْتِكْنَ ٱلْبَرَاقِعَ وَٱللِّفَاعَا
يَقُولُ لَكَ ٱلطَّبِيبُ دَوَاكَ عِنْدِي
إِذَا مَاجَسَّ كَفَّكَ وَٱلذِّرَاعَا

وَلَوْ عرَفَ ٱلطَّبِيبُ دَوَاءَ دَاءٍ
يَرُدُّ ٱلْمَوْتَ مَاقَاسَى ٱلنِّزَاعَا

وَفِي يَوْمِ ٱلْمَصَانِعِ قَدْ تَرَكْنَا
لَنَا بِفِعَالِنَا خَبَرًا مُشَاعَا

أَقَمْنَا بِٱلذَّوَابِلِ سُوقَ حَرْبٍ
وَصَيَّرْنَا ٱلنُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا

حِصَانِي كَانَ دَلَّالَ ٱلْمَنَايَا
نَخَاضَ غِمَارَهَا وَشَرَى وَبَاعَا

وَسَيْفِي كَانَ فِي ٱلْهَيْجَا طَبِيبًا
يُدَاوِي رَأْسَ مَنْ يَشْكُو ٱلصُّدَاعَا

أَنَا ٱلْعَبْدُ ٱلَّذِي خُبِّرْتَ عَنْهُ
وَقَدْ عَايَنْتَنِي فَدَعِ ٱلسَّمَاعَا

وَلَوْ أَرْسَلْتُ رُمْحِي مَعْ جَبَانٍ
لَكَانَ بِهَيْبَتِي يَلْقَى السِّبَاعَا

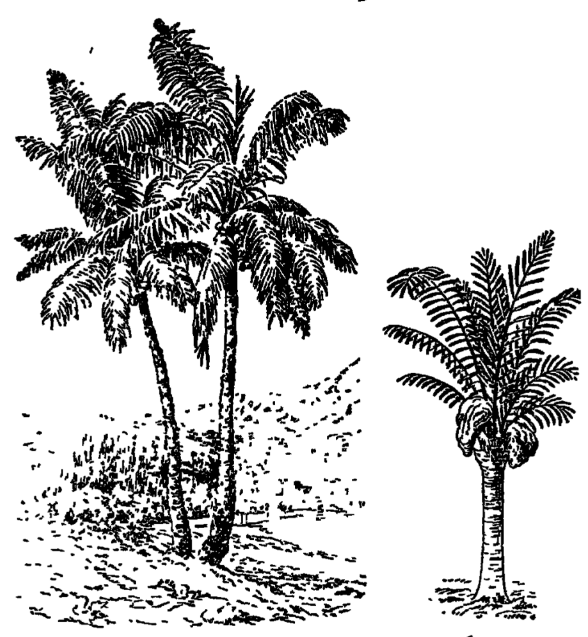
مَلأْتُ ٱلْأَرْضَ خَوْفاً مِنْ حُسَامِي
وَخَصْمِي لَمْ يَجِدْ فِيهَا ٱتِّسَاعَا
إِذَا ٱلْأَبْطَالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي
تَرَى ٱلْأَقْطَارَ بَاعاً أَوْ ذِرَاعَا

(ديوان عنترة بن شداد)

﴿ ٢٣ — اَلنَّشَا ﴾

بَنِيقَةٌ رُدْنٌ اَلرَّبْطَةُ اَلسَّخِيفَةُ
إِبْهَامٌ سَبَّابَةٌ جُمَّارٌ

هَلْ دَارَ بِخَلَدِكَ يَوْماً أَنْ تَسْأَلَ عَنِ ٱسْمِ ٱلْمَادَّةِ ٱلَّتِي بِهَا تُكْوَى بَنِيقَةُ قَمِيصِكَ وَرُدْنَاهُ وَمِنْ أَيْنَ وَكَيْفَ تُسْتَخْرَجُ هَذِهِ ٱلْمَادَّةُ هِيَ ٱلنَّشَا وَتُسْتَخْرَجُ مِنْ أَصْنَافٍ عِدَّةٍ مِنَ ٱلنَّبَاتِ وَتُوجَدُ فِي جَمِيعِهَا لِأَنَّهَا هِيَ ٱلْمَادَّةُ ٱلَّتِي يَخْزُنُهَا ٱلنَّبَاتُ لِيَتَغَذَّى بِهَا



فَإِذَا أَخَذْتَ قَلِيلاً مِنْ دَقِيقِ ٱلْأَرُزِّ أَوِ ٱلْبُرِّ أَوِ ٱلشَّعِيرِ وَوَضَعْتَهُ فِي شِقَّةٍ مِنَ ٱلرِّيْطَةِ ٱلسَّخِيفَةِ وَفَرَكْتَهَا بَيْنَ إِبْهَامِكَ وَسَبَّابَتِكَ فِي مَاءٍ ٱبْيَضَّ ٱلْمَاءُ وَصَارَ لَوْنُهُ كَاللَّبَنِ وَٱلسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ ٱلنَّشَا يَنْفَصِلُ مِنَ ٱلدَّقِيقِ وَيَنْتَشِرُ فِي ٱلْمَاءِ فَإِذَا تُرِكَ ٱلْإِنَاءُ وَنَفْسُهُ زَمَنًا رَسَبَ

ٱلنَّشَا فِي قَعْرِهِ فَإِذَا أَخَذْتَ شَيْئًا قَلِيلاً مِنْهُ وَنَظَرْتَ إِلَيْهِ بِمِنْظَارِ ٱلتَّكْبِيرِ وَجَدْتَهُ مُكَوَّنًا مِنْ ذَرَّاتٍ صَغِيرَةٍ جِدًّا لَا تُرَى بِالنَّظَرِ ٱلْمُجَرَّدِ وَوَجَدْتَ أَنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنْهُ عِبَارَةٌ عَنْ كِيسٍ صَغِيرٍ يَنْتَفِخُ وَيَنْفَجِرُ إِذَا صُبَّ عَلَيْهِ ٱلْمَاءُ ٱلْمُغْلَى وَلِذَلِكَ يُقَالُ إِنَّ ٱلْمَاءَ ٱلْمُغْلَى يُذِيبُ ٱلنَّشَا كَمَا يُذِيبُ ٱلسُّكَّرَ وَتَرَاهُ صَافِيًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِلنَّشَا أَثَرٌ ظَاهِرٌ وَأَمَّا ٱلْمَاءُ ٱلْبَارِدُ فَلَا يُذِيبُهُ وَإِنَّمَا يَفْصِلُ ذَرَّاتِهِ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ وَيَبْقَى أَبْيَضَ كَاللَّبَنِ وَإِذَا سَكَنَ رَأَيْتَ ٱلنَّشَا فِي قَعْرِ ٱلْإِنَاءِ

وَيُسْتَخْرَجُ ٱلنَّشَا بِكَثْرَةٍ مِنْ جُمَّارِ ضَرْبٍ مِنَ ٱلنَّخْلِ يَنْبُتُ فِي ٱلْبِلَادِ ٱلْحَارَّةِ وَهَذَا ٱلنَّخْلُ إِذَا تَمَّ نَمَاؤُهُ شُقَّ وَأُخِذَ مِنْهُ ٱلْجُمَّارُ فَيُسْحَقُ وَيُغْسَلُ بِالْمَاءِ وَيُعْصَرُ فِيهِ فَإِذَا سَكَنَ ٱلْمَاءُ رَسَبَ ٱلنَّشَا فِي قَعْرِ ٱلْإِنَاءِ فَيُؤْخَذُ وَيُجَفَّفُ قَلِيلاً ثُمَّ يُمَرَّرُ مِنْ مَنَاخِلَ ذَاتِ عُيُونٍ مُسْتَدِيرَةٍ

فَيَصِيرُ كَمَا تَرَاهُ

وَيُسْتَخْرَجُ كَذَلِكَ مِنَ ٱلْبَطَاطِسِ وَمِنْ أَغْصَانِ بَعْضِ صُنُوفِ ٱلْخَلَّةِ وَجُذُورِهَا وَيُصْنَعُ بِهَا مَا يُصْنَعُ بِٱلْجُمَّارِ وَيُجَفَّفُ بِنَشْرِهِ عَلَى صُحُونٍ مُحَمَّاةٍ وَبِتَحْرِيكِهِ بِمِحْرَاكٍ حَدِيدِيٍّ

❊ ٢٤ — كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ (١) ❊

حُدُودٌ	اَلْحَقْنُ	سِرْبٌ	رِيَاضَةٌ
حِيَاطَةٌ	تَفْرِيطٌ	آجِلٌ	اَلنَّمِيمَةُ
اَلْجَرَاءَةُ	شَرَهٌ		

مُخْتَارٌ مِنْ وَصِيَّةِ طَاهِرِ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ لِٱبْنِهِ عَبْدِ ٱللهِ ٱبْنِ طَاهِرٍ لَمَّا وَلَّاهُ ٱلْمَأْمُونُ ٱلرَّقَّةَ وَمِصْرَ وَمَا بَيْنَهُمَا

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ ٱلرَّأْفَةَ عَلَيْكَ بِمَنِ ٱسْتَرْعَاكَ أَمْرَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ وَأَلْزَمَكَ

الْعَدْلَ فِيهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ عَلَيْهِمْ وَالذَّبَّ عَنْهُمْ وَالدَّفْعَ عَنْ حَرِيمِهِمْ وَمَنْصِبِهِمْ وَالْحَقْنَ لِدِمَائِهِمْ وَالْأَمْنَ لِسِرْبِهِمْ وَإِدْخَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْكَ بِالِاقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْيَنَ نَفْعاً وَلَا أَخَصَّ أَمْناً وَلَا أَجْمَعَ فَضْلاً مِنْهُ وَلَا تَتَّهِمَنَّ أَحَداً مِنَ النَّاسِ فِيمَا تُوَلِّيهِ مِنْ عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ التُّهَمِ بِالْبُرَآءِ وَالظُّنُونَ السَّيِّئَةَ بِهِمْ إِثْمٌ فَاجْعَلْ مِنْ شَأْنِكَ حُسْنَ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَاطْرُدْ عَنْكَ سُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ وَارْفُضْهُ فِيهِمْ يُعِنْكَ ذَلِكَ عَلَى اسْتِطَاعَتِهِمْ وَرِيَاضَتِهِمْ وَلَا يَمْنَعْكَ حُسْنُ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَالرَّأْفَةُ بِرَعِيَّتِكَ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الْمَسْأَلَةَ وَالْبَحْثَ عَنْ أُمُورِكَ وَالْمُبَاشَرَةَ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ وَحِيَاطَةَ الرَّعِيَّةِ وَالنَّظَرَ فِي حَوَائِجِهِمْ

وَأَقِمْ حُدُودَ اللهِ تَعَالَى فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى

قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحَقُّوهُ وَلَا تُعَطِّلْ ذَلِكَ وَلَا تَتَهَاوَنْ بِهِ وَلَا تُؤَخِّرْ عُقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَأَوْفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ الْخَيْرَ فَأَنْجِزْهُ وَاقْبَلِ الْحَسَنَةَ وَادْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَاشْدُدْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْغِضْ أَهْلَ النَّمِيمَةِ فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَآجِلِهَا تَقْرِيبُ الْكَذُوبِ وَالْجَرَاءَةُ عَلَى الْكَذِبِ لِأَنَّ الْكَذِبَ رَأْسُ الْمَآثِمِ وَالزُّورَ وَالنَّمِيمَةَ خَاتِمَتُهَا وَدَعْ عَنْكَ شَرَهَ نَفْسِكَ وَلْتَكُنْ ذَخَائِرُكَ وَكُنُوزُكَ الَّتِي تَدَّخِرُ وَتَكْنِزُ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَاسْتِصْلَاحَ الرَّعِيَّةِ وَعِمَارَةَ بِلَادِهِمْ وَالتَّفَقُّدَ لِأُمُورِهِمْ وَالْإِعَانَةَ لِمَلْهُوفِهِمْ

﴿ ٢٥ – كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ (٢) ﴾

تُمَالِئُ	فَاجِرٌ	تُدَاهِنُ	فَاسِقٌ
مُرَاءٍ	مَرَحٌ	كُورَةٌ	أَمْضَى
تُزَكِّي			

لَا تَحْتَقِرَنَّ ذَنْبًا وَلَا تُمَالِئَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا وَلَا تَصِلَنَّ كَفُورًا وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُصَدِّقَنَّ نَمَّامًا وَلَا تَأْمَنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُوَالِيَنَّ فَاسِقًا وَلَا تَتْبَعَنَّ غَاوِيًا وَلَا تَحْمَدَنَّ مُرَائِيًا وَلَا تَحْقِرَنَّ إِنْسَانًا وَلَا تَرُدَّنَّ سَائِلًا فَقِيرًا وَلَا تُحَسِّنَنَّ بَاطِلًا وَلَا تُلَاحِظَنَّ مُضْحِكًا وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا وَلَا تُذْهِبَنَّ فَخْرًا وَلَا تُظْهِرَنَّ غَضَبًا وَلَا تَمْشِيَنَّ مَرَحًا وَلَا تُزَكِّيَنَّ سَفِيهًا وَلَا تَرْفَعْ لِلنَّمَّامِ عَيْنًا وَلَا تُغْمِضْ عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً وَاجْعَلْ فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ خَبَرَ عُمَّالِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيَرِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ

مُعَايِنًا لِأُمُورِهِ وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ حُسْنَ الدِّفَاعِ وَالصُّنْعِ فَأَمْضِهِ وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ ثُمَّ خُذْ فِيهِ عُدَّتَكَ فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرِهِ وَقَدْ أَتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَغْوَاهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ أَهْلَكَهُ وَنَقَضَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ وَبَاشِرْهُ بَعْدَ عَوْنِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَأَكْثِرْ مِنَ اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي أُمُورِكَ وَافْرُغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ وَأَكْثِرْ مُبَاشَرَتَهُ بِنَفْسِكَ فَإِنَّ لِغَدٍ أُمُورًا وَحَوَادِثَ تُلْهِيكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي أَخَّرْتَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا أَمْضَيْتَ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ بَدَنَكَ وَنَفْسَكَ وَجَمَعْتَ أَمْرَ سُلْطَانِكَ

**** ** *** ***

٢٦ — كُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ (٣)

بَلَا سَلَوِيَّةٌ مُظَاهَرَةٌ الْبَأْسَاءُ

أَرَامِلُ أَرْزَاقٌ سَرَفٌ مُؤَامَرَةٌ

تَمَنُّنٌ الْحَزْمُ

وَانْظُرْ أَحْرَارَ النَّاسِ وَذَوِى الْفَضْلِ مِنْهُمْ مِمَّنْ بَلَوْتَ صَفَاءَ طَوِيَّتِهِمْ وَشَهِدْتَ مَوَدَّتَهُمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتَهُمْ بِالنُّصْحِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى أَمْرِكَ فَاسْتَخْلِصْهُمْ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ وَأَفْرِدْ نَفْسَكَ بِالنَّظَرِ فِى أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَتِهِ إِلَيْكَ وَالْمُحْتَقَرِ الَّذِى لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ وَتَعَاهَدْ ذَوِى الْبَأْسَاءِ وَيَتَامَاهُمْ وَأَرَامِلَهُمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَانْصِبْ لِلْمَرْضَى دُورًا تُؤْوِيهِمْ وَقُوَّامًا يَرْفُقُونَ بِهِمْ وَأَطِبَّاءَ يُعَالِجُونَ أَسْقَامَهُمْ وَأَسْعِفْهُمْ بِشَهَوَاتِهِمْ مَالَمْ يُؤَدِّ ذَلِكَ إِلَى سَرَفٍ فِى بَيْتِ الْمَالِ

وَٱعْرِفْ مَا يَجْمَعُ عُمَّالُكَ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَمَا يُنْفِقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعْ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقْ إِسْرَافًا وَلْيَكُنْ أَكْرَمَ دُخَلَائِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا لَمْ تَمْنَعْهُ هَيْبَتُكَ مِنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِتْرٍ وَإِعْلَامِكَ بِمَا فِيهِ مِنَ ٱلنَّقْصِ فَإِنَّ أُولَئِكَ أَنْصَحُ أَوْلِيَائِكَ وَمُظَاهِرِيكَ لَكَ وَٱنْظُرْ عُمَّالَكَ ٱلَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكُتَّابَكَ فَوَقِّتْ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ بِكُتُبِهِ وَمُؤَامَرَتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ عُمَّالِكَ وَأُمُورِ ٱلدَّوْلَةِ وَرَعِيَّتِكَ ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُورِدُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَفَهْمَكَ وَعَقْلَكَ وَكَرِّرِ ٱلنَّظَرَ فِيهِ وَٱلتَّدَبُّرَ لَهُ فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَٱلْحَزْمِ فَأَمْضِهِ وَٱسْتَخِرِ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَمَا كَانَ مُخَالِفًا لِذَلِكَ فَٱصْرِفْهُ إِلَى ٱلْمَسْأَلَةِ وَٱلتَّثَبُّتِ وَلَا تَمُنَّنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفٍ تُؤْتِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا

ٱلْوَفَاءِ وَٱلِاسْتِقَامَةَ فِي أُمُورِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَلَا تَصْنَعَنَّ ٱلْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ

﴿ ٢٧ — ٱلْوِشَايَةُ ﴾

ٱلْوِشَايَةُ أَتْرَاحٌ يَتَنَاجَشُ يَتَدَابَرُ
يَهْجُو أَطْرَقَ هُنَيْهَةً أَفْضَى يَنْسَلُّ

كَانَ يُوسُفُ وَسَيْفُ ٱلدِّينِ رَفِيقَيْنِ قَلَّ أَنْ يَفْتَرِقَا إِلَّا فِي وَقْتِ ٱلنَّوْمِ فَكَانَا يَتَعَاوَنَانِ فِي ٱلْمُدَارَسَةِ وَيَتَرَافَقَانِ فِي ٱلنُّزْهَةِ وَيَتَشَارَكَانِ فِي أَفْرَاحِهِمَا وَأَتْرَاحِهِمَا وَبِٱلْجُمْلَةِ كَانَا كَٱلْأَخَوَيْنِ لَا يَتَحَاسَدَانِ وَلَا يَتَنَاجَشَانِ وَلَا يَتَبَاغَضَانِ وَلَا يَتَدَابَرَانِ وَكَانَ يَمِيلُ كُلٌّ مِنْهُمَا إِلَى ٱلْآخَرِ وَيَنْجَذِبُ إِلَيْهِ لِتَوَافُقٍ فِي مِزَاجَيْهِمَا فَسَاءَ ذَلِكَ تِلْمِيذًا حَسُودًا كَانَ يَحْزَنُ لِرُؤْيَةِ ٱلنِّعْمَةِ عَلَى غَيْرِهِ وَيَفْرَحُ لِمَا يَقَعُ بِهِ مِنَ ٱلْمَصَائِبِ وَفَكَّرَ أَنْ يَشِيَ لِأَضْعَفِهِمَا إِرَادَةً بِٱلْآخَرِ فَٱخْتَارَ يُوسُفَ وَٱنْفَرَدَ بِهِ مَرَّةً وَذَكَرَ

لَهُ مِنْ سَيِّئَاتِ سَيْفِ ٱلدِّينِ مَالَا عَهْدَ لَهُ بِهِ مِنْ قَبْلُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ يَهْجُوهُ لَهُ فَغَضِبَ يُوسُفُ وَحَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ أَنْ يَقْطَعَ أَخَاهُ وَلَكِنْ مَالَبِثَ أَنْ هَدَأَ وَٱلْتَفَتَ إِلَى ذَلِكَ ٱلْوَاشِي وَقَالَ « ٱسْمَعْ يَا إِبْرَاهِيمُ وَشَى وَاشٍ بِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ هَمَّامٍ إِلَى زِيَادٍ فَقَالَ لَهُ إِنَّهُ هَجَاكَ فَقَالَ أَأَجْمَعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَالَ نَعَمْ فَبَعَثَ زِيَادٌ إِلَى ٱبْنِ هَمَّامٍ فَأُتِيَ بِهِ وَأُدْخِلَ ٱلرَّجُلُ بَيْتاً فَقَالَ زِيَادٌ يَا ٱبْنَ هَمَّامٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ هَجَوْتَنِي فَقَالَ كَلَّا أَصْلَحَكَ ٱللهُ مَافَعَلْتُ وَلَا أَنْتَ لِذَلِكَ بِأَهْلٍ فَقَالَ إِنَّ هَذَا ٱلرَّجُلَ أَخْبَرَنِي وَأَخْرَجَ ٱلرَّجُلَ فَأَطْرَقَ ٱبْنُ هَمَّامٍ هُنَيْهَةً ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ٱلرَّجُلِ فَقَالَ

أَنْتَ ٱمْرُؤٌ إِمَّا ٱئْتَمَنْتُكَ خَالِياً
فَخُنْتَ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بِلَا عِلْمِ
فَأَنْتَ مِنَ ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ ٱلْخِيَانَةِ وَٱلْإِثْمِ

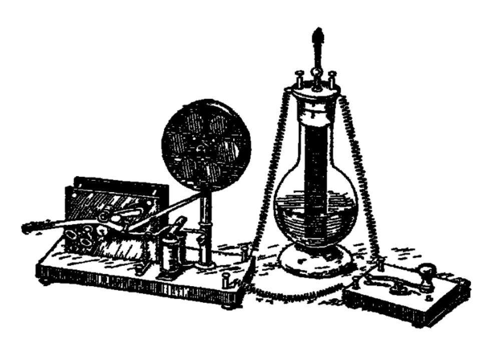
فَأُعْجِبَ زِيَادٌ بِجَوَابِهِ وَأَقْصَى ٱلْوَاشِيَ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ فَمَا

رَأْيكَ فِي أَنْ أَجْمَعَ بَينَكَ وَبَيْنَ سَيفِ ٱلدِّينِ » فَٱعْتَذَرَ لَهُ وَمَا كَادَ يَنْتَهِي مِنَ ٱلِاعْتِذَارِ حَتَّى قَدِمَ سَيْفُ ٱلدِّينِ فَأَخَذَ ٱلْوَاشِي يَنسَلُّ فَمَنَعَهُ يُوسُفُ عَنِ ٱلْخُرُوجِ وَقَصَّ عَلَى سَيْفِ ٱلدِّينِ مَا كَانَ مِنْ أَمرِهِ فَخَجِلَ ٱلْوَاشِي وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَسَكَتَ فَقَالَ سَيْفُ ٱلدِّينِ « قَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ ٱللهِ إِخْوَانًا) » وَبَعْدَ ذَلِكَ شَكَرَ سَيْفُ ٱلدِّينِ يُوسُفَ عَلَى سُلُوكِهِ ٱلَّذِي كَانَ سَبَبًا فِي قَطْعِ ٱلْوِشَايَةِ بَيْنَهُمَا

﴿ ٢٨ — ٱلتِّلِغْرَافُ ﴾

مِضْمَارٌ	تُمَهِّدُ	تَلَمَّسَ	مَقْبِضٌ
ٱلْفُولَاذُ	لَوْلَبٌ	يَقْرَعُ	

إِنَّ رُقِيَّ ٱلْحَضَارَةِ وَتَقَدُّمَ ٱلصِّنَاعَةِ وَٱلْأَعْمَالِ وَٱلتَّزَاحُمَ عَلَى مَرَافِقِ ٱلْمَعِيشَةِ بَعَثَتْ فِي نُفُوسِ ٱلنَّاسِ شَغَفًا بِٱلْمُسَارَعَةِ إِلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ حَتَّى يَبْلُغَ ٱلسَّابِقُ



غَايَتَهُ فِي مِضْمَارِ ٱلْحَيَاةِ فَتَلَمَّسُوا كُلَّ ٱلْوَسَائِلِ ٱلَّتِي تُمَهِّدُ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ هٰذَا وَقَامَ ٱلْعُلَمَاءُ وَٱلْكَشَّافُونَ وَٱلْمُخْتَرِعُونَ يُجَرِّبُونَ وَيَبْحَثُونَ وَيُؤَلِّفُونَ حَتَّى ٱهْتَدَى مُورِسُ سَنَةَ ١٨٣٦ إِلَى ٱخْتِرَاعِ آلَةِ ٱلتِّلِغْرَافِ وَٱسْتِخْدَامِهَا فِي ٱلرَّسَائِلِ

وَصَلَ هٰذَا ٱلْمُخْتَرِعُ بَيْنَ مَكَانَيْنِ بِسِلْكَيْنِ يَحْمِلُ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صِنْفاً مِنْ صِنْفَيِ ٱلْكَهْرُبَاءِ وَجَعَلَ فِي أَحَدِ ٱلْمَكَانَيْنِ آلَةً شَبَكَ بِهَا ٱلسِّلْكَيْنِ وَهُمَا مُفْتَرِقَانِ وَٱتَّخَذَ لَهَا مَقْبِضاً كُلَّمَا ٱنْخَفَضَ نَزَلَ عَلَى

ٱلْقَاعِدَةِ فَاجْتَمَعَ ٱلسِّلْكَانِ وَجَرَى تَيَّارُ ٱلْكَهْرُبَاءِ ثُمَّ جَعَلَ فِي ٱلْمَكَانِ ٱلثَّانِي آلَةً أُخْرَى لَهَا لَفِيفَتَانِ مِنَ ٱلْأَسْلَاكِ قَدْ مُدَّتْ عَلَى أَحَدِ طَرَفَيْهَا حَدِيدَةٌ مُعَلَّقٌ فَوْقَهَا مِسْمَارٌ مُتَّصِلٌ بِلَوْلَبٍ يَشُدُّهُ إِلَى أَعْلَى وَمَتَى ٱتَّصَلَ ٱلسِّلْكَانِ بِخَفْضِ مَقْبِضِ ٱلْآلَةِ ٱلْأُولَى جَذَبَتِ ٱلْحَدِيدَةُ ذَلِكَ ٱلْمِسْمَارَ فَوْقَهَا فَيَقْرَعُهَا وَيُلَاصِقُهَا إِلَى أَنْ يَفْتَرِقَ ٱلسِّلْكَانِ وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ ٱلْحَرَكَةُ لَا تُؤَدِّي إِلَى كِتَابَةِ ٱلْحُرُوفِ أَوِ ٱلْأَرْقَامِ ٱتُّخِذَتْ إِشَارَاتٌ تَدُلُّ عَلَى ٱلْكِتَابَةِ مِنْ نُقَطٍ وَخُطُوطٍ صَغِيرَةٍ تَخْتَلِفُ فِي عَدَدِهَا وَتَرْتِيبِهَا بِٱخْتِلَافِ ٱلْحُرُوفِ وَٱلْأَرْقَامِ فَإِذَا أُرِيدَ كِتَابَةُ نُقْطَةٍ أُنْزِلَ ٱلْمَقْبِضُ مَرَّةً ثُمَّ سُيِّبَ عَلَى ٱلْفَوْرِ وَمَتَى أُرِيدَ كِتَابَةُ خَطٍّ أُنْزِلَ ٱلْمَقْبِضُ كَذَلِكَ وَلَكِنَّهُ لَا يُسَيَّبُ إِلَّا بَعْدَ مُدَّةٍ تَكْفِي لِقَرْعِ ثَلَاثِ نُقَطٍ وَجَعَلُوا بَيْنَ ٱلْحَدِيدَةِ وَٱلْمِسْمَارِ شَرِيطًا مُتَحَرِّكًا مِنَ ٱلْوَرَقِ تُعْلَمُ

فِيهِ هَذِهِ ٱلرُّمُوزُ وَقَدْ جَعَلُوا فِي كُلِّ مَكْتَبٍ مِنْ مَكَاتِبِ ٱلتِّلِغْرَافِ كِلْتَا ٱلْآلَتَيْنِ لِإِرْسَالِ ٱلرَّسَائِلِ وَتَسَلُّمِهَا وَجَرَى بَعْدَ ذَلِكَ تَحْسِينٌ وَتَعْدِيلٌ فِي أَزْمَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ حَتَّى ٱسْتَطَاعَ ٱلنَّاسُ أَنْ يَكْتُبُوا رَسَائِلَهُمُ ٱلتِّلِغْرَافِيَّةَ بِٱلْخَطِّ وَٱسْتَغْنَوْا عَنِ ٱلْإِشَارَاتِ وَلَكِنَّ هَذَا ٱلنَّوْعَ لَمْ يَشِعْ بَعْدُ فِي ٱلدُّنْيَا

٢٩ — زُهْدُ ٱلْهُنُودِ (١)

حَمَلَةٌ	تَأَفُّفٌ	اَلْفُحْشُ	اَلْبَرَاهِمَةُ
مَضَضٌ	اَلِانْتِحَارُ	وَسْوَسَ	نَزِيهٌ
	تَلْتَهِمُ	وَجَلٌ	طَلِيعَةٌ

فِي ٱلْهِنْدِ فِئَةٌ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ كُهَّانِ ٱلْهُنُودِ يَقْضُونَ حَيَاتَهُمْ عُرَاةَ ٱلْأَجْسَامِ وَلَا يَأْكُلُونَ ٱللَّحْمَ بَلْ يَقْتَاتُونَ مِنَ ٱلْأَلْبَانِ وَمَا صَلَحَ مِنْ نَبَاتِ ٱلْأَرْضِ وَثِمَارِ ٱلْأَشْجَارِ وَقَدْ عُرِفُوا بِٱلزُّهْدِ فَلَا يَأْتُونَ ٱلْفُحْشَ وَلَا يَرْكَبُونَ ٱلْمُنْكَرَ وَيُكْثِرُونَ ٱلصَّوْمَ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ أَيَّامًا طِوَالًا

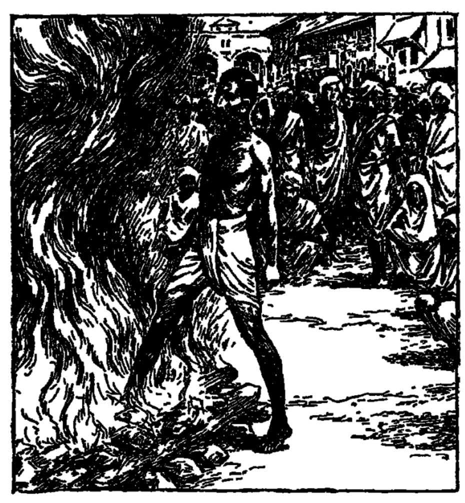
وَهُمْ ذَوُو صَبْرٍ وَجَلَدٍ شَهِدَ لَهُمْ بِهَا شِيشِرُونُ ٱلرُّومَانِي خِلَالَ كَلَامِهِ عَنِ ٱلْآلَامِ ٱلْهَائِلَةِ ٱلَّتِي يُقَاسِيهَا كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ بِثَبَاتٍ عَجِيبٍ قَالَ « إِنَّ فِي ٱلْهِنْدِ حُكَمَاءَ يَقْضُونَ أَزْمَانَهُمْ عُرَاةً وَيَحْتَمِلُونَ بَرْدَ ٱلثَّلْجِ وَظُلْمَةَ ٱلضَّبَابِ مِنْ غَيْرِ تَأَفُّفٍ وَلَا ضَجَرٍ وَإِذَا رَأَوُا ٱلنَّارَ ٱسْتَسْلَمُوا لَهَا فَتَحْتَرِقُ أَجْسَامُهُمْ وَهُمْ صَامِتُونَ »



وَقَدْ حَكَى رُوَاةُ حَمْلَةِ ٱلْإِسْكَنْدَرِ ٱلْمَقْدُونِيِّ أَنَّهُ

يَوْمَ بَلَغَ تَكْسِيلاَ مِنْ بِلاَدِ الْهِنْدِ رَأَى جَمَاعَةً مِنْ
هَؤُلاَءِ الْحُكَمَاءِ الْعُرَاةِ عَلَى مَاوَصَفْنَاهُمْ مِنَ الْآدَابِ
وَالْفَضَائِلِ فَأُعْجِبَ بِهِمْ كَثِيراً وَصَحِبَهُ مِنْهُمْ رَجُلٌ يُقَالُ
لَهُ كَالاَنِيسُ أَحَبَّهُ الْإِسْكَنْدَرُ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ
وَكَانَ الرَّجُلُ شُجَاعاً فَاضِلاً وَشَيْخاً نَزِيهاً بَلَغَ السَّبْعِينَ
مِنْ سِنِيهِ إِلَّا أَنَّ الشَّيْخُوخَةَ وَمَا تَجْلِبُ مِنَ التَّعَبِ
وَسْوَسَتْ لَهُ التَّخَلُّصَ مِنْ عَنَاءِ الْكِبَرِ فَعَزَمَ عَلَى
إِحْرَاقِ جِسْمِهِ وَالِاسْتِرَاحَةِ مِنْ مَضَضِ الْحَيَاةِ وَعَيَّنَ
يَوْمَ الِانْتِحَارِ

وَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ اجْتَمَعَ الْجُنْدُ وَالْقُوَّادُ وَجَمْعٌ
غَفِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَفِي طَلِيعَتِهِمُ الْإِسْكَنْدَرُ فِي سَهْلٍ
فَسِيحٍ حَيْثُ أَتَى ذَلِكَ الشَّيْخُ وَاقْتَرَبَ مِنْ مَوْضِعِ
النَّارِ بِجَأْشٍ رَابِطٍ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَجِلٍ وَأَلْقَى نَفْسَهُ
وَسْطَ لَهِيبِ وَأَخَذَتِ النَّارُ تَلْتَهِمُ لَحْمَهُ وَهُوَ صَامِتٌ



لَا يَئِنُّ وَلَا يَشْكُو

وَذُكِرَتْ حَادِثَةٌ أُخْرَى مِنْ نَوْعِهَا وَهِيَ أَنَّ هِنْدِيًّا مِنْ هَؤُلَاءِ ٱلْحُكَمَاءِ لَحِقَ بِٱلْإِسْكَنْدَرِ حَتَّى آثِينَا وَعَمِلَ هُنَاكَ مَا عَمِلَهُ كَالَانِيسُ فِي ٱلْهِنْدِ وَأَنَّ ٱلْمَوْضِعَ ٱلَّذِي ٱحْتَرَقَ فِيهِ سُمِّيَ مُنْذُ ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ بِٱلْقَبْرِ ٱلْهِنْدِيِّ

(المقتطف)

✱ ٣٠ — زُهْدُ ٱلْهُنُودِ (٢) ✱

اَلْغُلُوُّ اِستِئْصَالٌ جَابَ اَلنِّحَلُ
تَدَنَّسَ تَذْكِيَةٌ إِكْلِيلٌ اَلصُّنُوجُ
أُجِّجَ

لَقَدْ كَانَ ٱلنَّاسُ يَزْعُمُونَ مِنْ قَبْلُ أَنَّ مَادَوَّنَهُ رُوَاةُ حَمَلَةِ ٱلْإِسكَنْدَرِ عَنْ هَؤُلَاءِ ٱلْحُكَمَاءِ وَمَا يَعْمَلُونَ لَايَخْلُو مِنَ ٱلْغُلُوِّ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ حَدِّ ٱلْأَقَاصِيصِ ٱلْمَوْضُوعَةِ لِمَا فِي تِلْكَ ٱلْحَوَادِثِ مِنَ ٱلْغَرَابَةِ وَٱلشُّذُوذِ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ٱلْمُشَاهَدِ مِنْ عَادَاتِ ٱلْأُمَمِ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى دَخَلَ ٱلْفَرَنْجُ بِلَادَ ٱلْهِنْدِ وَٱنْتَتَحَهَا ٱلْإِنْكِلِيزُ فَأَمَّهَا طُلَّابُ ٱلْعِلْمِ وَأَهْلُ ٱلتِّجَارَةِ وَدُعَاةُ ٱلدِّينِ مِنَ ٱلْأُورُبِّيِّينَ وَأَخَذُوا فِي دِرَاسَةِ أَهْلِهَا وَعَادَاتِهِمْ

فَرَأَوْا أَنَّ مَا كَتَبَهُ ٱلْمُؤَرِّخُونَ ٱلْأَقْدَمُونَ لَاغُبَارَ عَلَيْهِ وَأَنَّ ٱلْهُنُودَ مَابَرِحُوا عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ ٱلْعَادَاتِ

وَٱلْأَخلَاقِ وَأَنَّ التَّمَدُّنَ ٱلْأُورُبِّيَّ لَمْ يَقْوَ حَتَّى ٱلْيَوْمِ عَلَى اسْتِئْصَالِ تِلْكَ ٱلْعَادَاتِ وَخَبَرُ هؤُلَاءِ ٱلْحُكَمَاءِ مَعْرُوفٌ عِنْدَ ٱلْيُونَانِ مِنْ حَمْلَةِ ٱلْإِسْكَنْدَرِ قِيلَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَهْدِ فِيثَاغُورِسَ يَوْمَ جَابَ ٱلْأَقْطَارَ ٱلشَّرْقِيَّةَ وَبَلَغَ ٱلْهِنْدَ وَأَخَذَ عَنْ حُكَمَائِهَا ٱلْعِلْمَ وَٱلْفَلْسَفَةَ عَلَى قَوْلٍ وَلَمْ يَكُنْ خَبَرُ هؤُلَاءِ ٱلْحُكَمَاءِ مَعْرُوفًا لَدَى عُلَمَاءِ ٱلْيُونَانِ وَٱلرُّومَانِ فَقَطْ فَقَدِ ٱتَّصَلَ نَبَؤُهُمْ بِعُلَمَاءِ ٱلْعَرَبِ فَدَوَّنُوهُ فِي مُؤَلَّفَاتِهِمْ وَحَسْبُكَ مَا كَتَبَهُ ٱلشِّهْرِسْتَانِيُّ فِي كِتَابِ ٱلْمِلَلِ وَٱلنِّحَلِ قَالَ « وَمِنْ حُكَمَاءِ ٱلْهِنْدِ مَنْ إِذَا رَأَى عُمْرَهُ قَدْ تَدَنَّسَ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي ٱلنَّارِ تَذْكِيَةً لِنَفْسِهِ وَتَطْهِيرًا لِبَدَنِهِ وَتَخْلِيصًا لِرُوحِهِ » وَقَالَ أَبُو ٱلْفِدَاءِ « إِنَّ ٱلْهُنُودَ يُحْرِقُونَ أَنْفُسَهُمْ وَإِذَا أَرَادَ ٱلرَّجُلُ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَى إِلَى بَابِ ٱلْمَلِكِ وَٱسْتَأْذَنَهُ فِي إِحْرَاقِ نَفْسِهِ فَإِذَا أَذِنَ لَهُ أَلْبَسَ ذَلِكَ ٱلرَّجُلُ أَنْوَاعَ ٱلْحَرِيرِ ٱلْمَنْقُوشِ وَجَعَلَ

عَلَى رَأْسِهِ إِكْلِيلٌ مِنَ الرَّيْحَانِ وَخَرَجَتِ الطُّبُولُ وَالصُّنُوجُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَدْ أُجِّجَتْ لَهُ النِّيرَانُ وَيَدُورُ كَذَلِكَ فِي الْأَسْوَاقِ وَحَوْلَهُ أَهْلُهُ وَأَقَارِبُهُ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ النَّارِ أَخَذَ خِنْجَرًا بِيَدِهِ وَشَقَّ بِهِ جَوْفَهُ ثُمَّ يَهْوِي بِنَفْسِهِ فِي النَّارِ

﴿ ٣١ — مَاجَزَاءُ الْوَالِدِ مِنْ وَلَدِهِ ﴾

عَالَ يَافِعٌ تُنْهَلُ أَتَمَلْمَلُ
فَظَاظَةٌ تَلَابِيبُ

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ « يَارَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبِي أَخَذَ مَالِي » فَقَالَ لَهُ الْمُصْطَفَى عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « اِذْهَبْ فَأْتِنِي بِأَبِيكَ » فَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ قَالَ النَّبِيُّ « مَابَالُ ابْنِكَ يَشْكُوكَ أَتُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ مَالَهُ » فَقَالَ لَهُ « سَلْهُ يَارَسُولَ اللهِ هَلْ أُنْفِقُهُ إِلَّا عَلَى إِحْدَى عَمَّاتِهِ أَوْ خَالَاتِهِ أَوْ عَلَى نَفْسِي » فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى

ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « دَعْنَا مِنْ هَذَا أَخْبِرْنِي عَنْ شَيْءٍ قُلْتَهُ فِي نَفْسِكَ مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ » فَقَالَ ٱلشَّيْخُ « وَٱللهِ يَا رَسُولَ ٱللهِ مَا يَزَالُ ٱللهُ يَزِيدُنَا بِكَ يَقِينًا لَقَدْ قُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْئًا مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ » فَقَالَ « قُلْ فَأَنَا أَسْمَعُ » فَقَالَ :

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعُلْتُكَ يَافِعًا
تُعَلُّ بِمَا أَحْنُو عَلَيْكَ وَتُنْهَلُ

إِذَا لَيْلَةٌ ضَاقَتْ بِكَ ٱلسُّقْمَ لَمْ أَبِتْ
لِسُقْمِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلْمَلُ

كَأَنِّي أَنَا ٱلْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِٱلَّذِي
طُرِقْتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنَايَ تَهْمُلُ

تَخَافُ ٱلرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّنِي
لَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ وَقْتٌ مُؤَجَّلُ

فَلَمَّا بَلَغْتَ ٱلسِّنَّ وَٱلْغَايَةَ ٱلَّتِي
إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيهِ أُؤَمِّلُ

جَعَلْتَ جَزَائِى غِلْظَةً وَفَظَاظَةً
كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ

فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِى
فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ

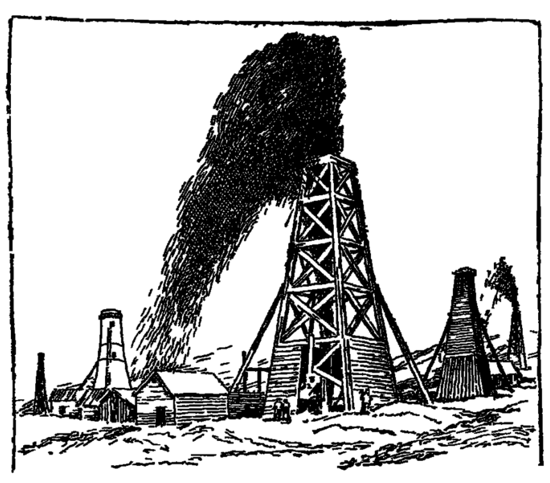
فَحِينَئِذٍ أَخَذَ النَّبِىُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَلَابِيبِ الْوَلَدِ وَسَلَّمَهُ لِوَالِدِهِ قَائِلاً لَهُ « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ »

٣٢ — زَيْتُ الْبِتْرُولِ

يَتَفَجَّرُ	تَقْطِيرٌ	أَوْقَدَ	التَّنْقِيبُ
مَجَسٌ	الْجِصُّ	غَدْرٌ	الْخَزَفُ

مِنْ أَنْفَعِ الزُّيُوتِ الْمُسْتَعْمَلَةِ بِالْمَنَازِلِ وَالَّتِى لَا غِنَاءَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَهْلِينَ عَنْهَا زَيْتُ الْبِتْرُولِ أَوْ زَيْتُ الْحَجَرِ وَهُوَ الَّذِى يَسْتَعْمِلُهُ مُعْظَمُ الْأَهَالِى فِى الْاِسْتِنَارَةِ وَيُعْرَفُ بِالْجَازِ وَهُوَ سَائِلٌ يُوجَدُ فِى بَاطِنِ الْأَرْضِ بِطَبِيعَتِهِ لَهُ رَائِحَةٌ شَدِيدَةٌ مُمَيِّزَةٌ

**** *******



وَيُسْتَخْرَجُ إِمَّا بِالْمَصَّاتِ وَإِمَّا بِتَشَقُّقِ الْأَرْضِ فَيَتَفَجَّرُ مِنْهَا وَيَخْتَلِفُ تَرْكِيبُهُ بِاخْتِلَافِ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ الَّتِي يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا فَهُوَ فِي الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ غَيْرُهُ فِي بِلَادِ الْمُسْكُوفِ وَفِي رُومَانِيَا وَفِي الْهِنْدِ الشَّرْقِيَّةِ وَعَلَى شَوَاطِئِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ تَحْلِيلِ مَوَادَّ نَبَاتِيَّةٍ وَحَيَوَانِيَّةٍ تَحْلِيلاً بَطِيئاً فِي الْأَرْضِ وَقِيلَ إِنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ تَقْطِيرِ الْفَحْمِ الْحَجَرِيِّ

هُنَالِكَ

وَزَيْتُ الْبِتْرُولِ مَعْرُوفٌ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ وَلَكِنْ لَمْ يَنْتَشِرِ اسْتِعْمَالُهُ إِلَّا فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ بَعْدَ الْوُقُوفِ عَلَى الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى مَقَادِيرَ عَظِيمَةٍ مِنْهُ

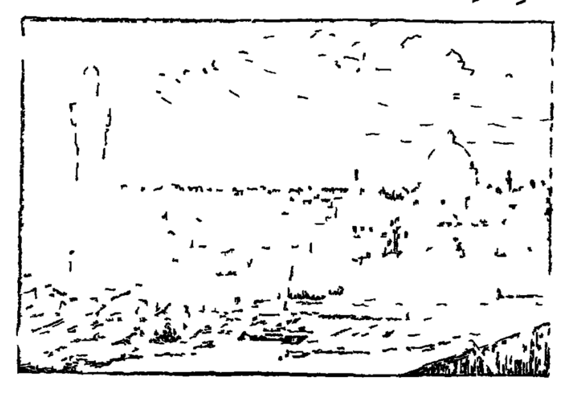
وَلَمَّا شَاعَ أَنَّ الْبِتْرُولَ يُوجَدُ فِي جِهَةٍ تَبْعُدُ عَنِ السُّوَيْسِ بِمِقْدَارِ ثَلَثِمَائَةِ كِيلُومِتْرٍ وَتُسَمَّى جَبَلَ الزَّيْتِ أَوْفَدَتِ الْحُكُومَةُ الْمِصْرِيَّةُ سَنَةَ ١٨٨٤ مُهَنْدِسًا بِلْجِيقِيًّا عَالِمًا بِطَبَقَاتِ الْأَرْضِ لِلتَّنْقِيبِ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ فَبَاشَرَ الْعَمَلَ مُدَّةً وَفِي سَنَةِ ١٨٨٦ خَرَجَ الْبِتْرُولُ فِي مَجَسٍّ أُنْزِلَ فِي الْأَرْضِ عَلَى غَوْرِ خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ مِتْرًا مُتَخَلِّلًا طَبَقَاتٍ مِنَ الْجِصِّ وَالْكِبْرِيتِ وَالْخَزَفِ وَخَرَجَ عَلَى هَيْئَةِ فَوَّارَةٍ مُرْتَفِعًا مِتْرَيْنِ عَنْ سَطْحِ الْبَحْرِ وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ يُمْكِنُ تَحْصِيلُ نَحْوِ أَلْفَيْ لِتْرٍ مِنْهُ فِي الْيَوْمِ مِنْ عَيْنٍ

واحدة

وَيُوجَدُ بمصرَ الآنَ ستُّ شركاتٍ إنكليزيةٍ تقومُ بالبحثِ عنِ البترولِ حولَ السويسِ وشواطئِ البحرِ الأحمرِ وقيلَ إنها عثرتْ على عشرينَ بئرًا إلى الآنَ وبعضُها يستخرجُ منهُ نحوُ ألفِ طنٍّ في اليومِ

(٣٣ — بغدادُ (١))

اِختطَّ	الشاهقةُ	النضرةُ	الشاسعةُ
قصبةٌ	رحالٌ	الدعائمُ	تسوَّلُ
الاضمحلالُ	الغازونَ	بادياتٌ	تقوَّضتْ



لَمَّا اسْتَقَرَّتِ الْخِلَافَةُ الإِسْلَامِيَّةُ فِي يَدِ الْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيِّ فِي أَوَاسِطِ الْقَرْنِ الْهِجْرِيِّ الثَّانِي اخْتَطَّ عَلَى ضِفَّتَيْ نَهْرِ دِجْلَةَ مَدِينَةً عَظِيمَةً سَمَّاهَا بَغْدَادَ أَوْ دَارَ السَّلَامِ شَيَّدَ فِيهَا الْقُصُورَ الشَّاهِقَةَ وَالْحَدَائِقَ الْغَنَّاءَ وَالْبَسَاتِينَ النَّضِرَةَ وَعَمَّرَ الْمَسَاجِدَ الشَّاسِعَةَ الْوَاسِعَةَ حَمْدًا لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنَ الْغَلَبَةِ وَالنَّصْرِ وَقَدْ سُمِّيَ بَعْدَ ذَلِكَ نِصْفُهَا الشَّرْقِيُّ الرُّصَافَةَ وَالْغَرْبِيُّ الْكَرْخَ

أَخَذَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ بِتَوَالِي خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ عَلَيْهَا وَصَارَتْ قَصَبَةَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ حَتَّى جَاءَ هَارُونُ الرَّشِيدُ فَأَعْلَى مَكَانَتَهَا وَجَعَلَهَا مَحَطَّ رِحَالِ الْعُلَمَاءِ وَالتُّجَّارِ وَالْقَاصِدِينَ وَأَقَامَ لِلتَّعْلِيمِ مَدَارِسَ يَؤُمُّهَا آلَافُ الطُّلَّابِ لِيَشْرَبُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَنْهَلِ الْعَذْبِ وَبَنَى فِيهَا مَلَاجِئَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُعْوِزِينَ يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا بِنَعِيمٍ مُقِيمٍ بِمَا حَبَسَ عَلَيْهَا وَعَلَى الْمَدَارِسِ

مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ وَالْأَمْوَالِ لِتَكُونَ ثَابِتَةَ ٱلدَّعَائِمِ لَا يُزَعْزِعُهَا ظُلْمُ ٱلْمُلُوكِ أَوِ ٱسْتِبْدَادُ ٱلْأُمَرَاءِ بِمَا تُسَوِّلُهُ لَهُمُ ٱلْأَهْوَاءُ

وَمَا زَالَتْ هَذِهِ ٱلْمَدِينَةُ يَنْتَشِرُ ٱلْعِزُّ بَيْنَ رُبُوعِهَا وَيَنْفَجِرُ نُورُ ٱلْعِلْمِ مِنْ عُقُولِهَا وَٱلْمَتَاجِرُ غَادِيَةٌ رَائِحَةٌ بَعْدَ ٱلرَّشِيدِ فِي أَيَّامِ ٱبْنِهِ ٱلْمَأْمُونِ وَمَنْ أَعْقَبَهُ مِنَ ٱلْخُلَفَاءِ حَتَّى أَذَّنَ مُؤَذِّنُ ٱلْفَنَاءِ عَلَيْهَا بِالِاضْمِحْلَالِ وَٱلِانْحِطَاطِ فَتَقَلَّبَتْ عَلَيْهَا صُرُوفُ ٱلزَّمَانِ وَٱنْتَهَبَهَا ٱلْغَازُونَ وَالْفَاتِحُونَ وَتَشَتَّتَ أَهْلُهَا فِي مَشَارِقِ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا حَاضِرَاتِهَا وَبَادِيَاتِهَا وَتَقَوَّضَتْ عِمَارَتُهَا وَكَادَتْ مَعَالِمُهَا تَزُولُ حَتَّى ٱسْتَوْلَى عَلَيْهَا ٱلتُّرْكُ بِبَأْسِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ وَهِيَ إِلَى ٱلْآنَ فِي أَيْدِيهِمْ

✱ ٣٤ — بَغْدَادُ (٢) ✱

اَلْبَائِدَةُ	اَلنَّزْرُ	اَلدَّارِسُ	خَنْدَقٌ
جُلٌّ	اَلْقَوَاعِدُ	اَلْمُفْتَرِضُ	

لَمَّا ٱسْتَوْلَى ٱلتُّرْكُ عَلَى مَدِينَةِ بَغْدَادَ أَخَذَتِ ٱلْحَيَاةُ تَدِبُّ فِيهَا وَٱلنَّاسُ يَتَوَافَدُونَ عَلَيْهَا عَسَى أَنْ تَعُودَ إِلَيْهَا مَكَانَتُهَا ٱلْبَائِدَةُ فِي ٱلتِّجَارَةِ لِأَنَّ مَوْقِعَهَا عَلَى نَهْرِ دِجْلَةَ بِٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلْخَلِيجِ ٱلْفَارِسِيِّ يَجْعَلُهَا مَرْكَزًا لِتَبَادُلِ خَيْرَاتِ ٱلشَّرْقِ وَٱلْغَرْبِ وَقَدْ بَقِيَ ٱلنَّزْرُ ٱلْيَسِيرُ مِنْ آثَارِ مَجْدِهَا ٱلدَّارِسِ كَقَبْرَيِ ٱلْإِمَامَيْنِ أَبِي حَنِيفَةَ ٱلنُّعْمَانِ وَأَبِي مُوسَى ٱلْكَاظِمِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا وَجُزْءٍ مِنَ ٱلسُّورِ ٱلشَّرْقِيِّ ٱلَّذِي كَانَ طُولُهُ سَبْعَةَ آلَافٍ مِنَ ٱلْأَمْتَارِ وَٱرْتِفَاعُهُ نَحْوَ ٱلثَّلَاثِينَ بَنَاهُ ٱلْخَلِيفَةُ أَحْمَدُ ٱلنَّاصِرُ وَجَعَلَ عَلَيْهِ أَبْرَاجًا عِدَّةً وَحَاطَهُ بِخَنْدَقٍ وَاسِعٍ لِصَدِّ ٱلْعَدُوِّ عَنْهَا وَقَدْ هَدَمَ جُلَّ هٰذَا ٱلسُّورِ مِدْحَتْ بَاشَا أَحَدُ وُلَاةِ ٱلتُّرْكِ فِي أَوَاخِرِ ٱلْقَرْنِ ٱلثَّالِثَ عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا جُزْءٌ صَغِيرٌ جَعَلُوهُ مَخْزَنًا لِلْبَارُودِ وَعَلَيْهِ كِتَابَةٌ بَاقِيَةٌ هٰذَا نَصُّهَا

« بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ هذا ما أَمَرَ بعمله سيدنا ومولانا ٱلْإِمَامُ ٱلْمُفْتَرَضُ ٱلطَّاعَةِ عَلَى كَافَّةِ ٱلْأَنَامِ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدُ ٱلنَّاصِرُ لِدِينِ ٱللهِ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيفَةُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ وَحُجَّةُ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى ٱلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ صلوَاتُ ٱللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ ٱلطَّاهِرِينَ وَلَا زَالَتْ دَعْوَتُهُ ٱلْهَادِيَةُ عَلَى بِقَاعِ ٱلْحَقِّ مَنَاراً وَٱلْخَلَائِقُ لَهَا أَتْبَاعاً وَأَنْصَاراً وَطَاعَتُهُ ٱلْمُفْتَرَضَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَسْمَاعاً وَأَبْصَاراً وَافَقَ ٱلْفَرَاغُ فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ٱلنَّبِيِّ وَآلِهِ ٱلطَّيِّبِينَ ٱلطَّاهِرِينَ »

﴿ ٣٥ — ٱلْفَضِيلَةُ ﴾

ٱلْأَوَّابُ مَغْلُولَةٌ إِمْلَاقٌ ٱلْقِسْطَاسُ

« وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ

إحساناً إمَّا يبلُغَنَّ عندَكَ الكِبَرَ أحدُهُما أو كِلاهُما فلا
تقُلْ لهُما أُفٍّ ولا تنهرْهُما وقُلْ لهُما قولاً كريماً واخفِضْ
لهُما جناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحمةِ وقُلْ ربِّ ارحَمْهُما كما
ربَّياني صغيراً ربُّكُم أعلمُ بما في نفوسِكُم إن تكونُوا
صالحِينَ فإنَّهُ كانَ للأوَّابينَ غفوراً وآتِ ذا القُربى حقَّهُ
والمسكينَ وابنَ السبيلِ ولا تُبذِّرْ تبذيراً إنَّ المُبذِّرِينَ
كانُوا إخوانَ الشياطِينِ وكانَ الشيطانُ لربِّهِ كفوراً وإمَّا
تُعرِضَنَّ عنهُمُ ابتغاءَ رحمةٍ مِن ربِّكَ ترجُوها فقُلْ لهُمْ
قولاً ميسُوراً ولا تجعَلْ يدَكَ مغلُولةً إلى عُنُقِكَ ولا
تبسُطْها كلَّ البسطِ فتقعُدَ ملُوماً محسُوراً إنَّ ربَّكَ يبسُطُ
الرِّزقَ لِمَن يشاءُ ويقدِرُ إنَّهُ كانَ بعبادِهِ خبيراً بصيراً
ولا تقتُلُوا أولادَكُم خشيةَ إملاقٍ نحنُ نرزُقُهُم وإيَّاكُم
إنَّ قتلَهُم كانَ خِطأً كبيراً ولا تقرَبُوا الزِّنا إنَّهُ كانَ
فاحِشةً وساءَ سبيلاً ولا تقتُلُوا النفسَ التي حرَّمَ اللهُ

إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً

(القرآن الكريم)

٣٦ — الْعَرَبُ وَالطَّيَرَانُ

اِسْتِشْهَادٌ اِسْتِنْبَاطٌ تَفَوُّقٌ جُثْمَانٌ

زِمِيكٌ الْعَنْقَاءُ قَشْعَمٌ يَطِمُّ

نَقَلَتْ إِحْدَى الْجَرَائِدِ الْفِرِنْجِيَّةِ الَّتِي تُطْبَعُ وَتُنْشَرُ

فِي ٱلْقَاهِرَةِ عَنْ كِتَابٍ عَرَبِيٍّ ٱسْمُهُ « نَفْحُ ٱلطِّيبِ مِنْ غُصْنِ ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلرَّطِيبِ » لِمُؤَلِّفِهِ ٱلشَّيْخِ ٱلْمُقْرِيّ ٱلتِّلِمْسَانِيّ ٱلْمُتَوَفَّى سَنَةَ أَلْفٍ وَوَاحِدَةٍ وَأَرْبَعِينَ هِجْرِيَّةً أَعْنِي فِي ٱلْقَرْنِ ٱلسَّابِعِ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ أَنَّ أَوَّلَ مُخْتَرِعٍ لِآلَاتِ ٱلطَّيَرَانِ هُوَ رَجُلٌ عَرَبِيٌّ يُدْعَى أَبَا ٱلْقَاسِمِ عَبَّاسَ بْنَ فِرْنَاسٍ ٱلَّذِي كَانَ طَبِيبًا لِلْخَلِيفَةِ عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلثَّانِي مَلِكِ ٱلْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ثَمَانِمِائَةٍ وَوَاحِدَةٍ وَعِشْرِينَ وَقَدْ جَاءَ فِي ذَلِكَ ٱلْكِتَابِ عِنْدَ ٱسْتِشْهَادِ ٱلْمُؤَلِّفِ عَلَى سَبْقِ ٱلْأَنْدَلُسِيِّينَ فِي ٱسْتِنْبَاطِ ٱلْعُلُومِ وَٱلْفُنُونِ وَتَفَوُّقِ أَذْهَانِهِمْ مَا يَأْتِي « وَمِنْ حِكَايَاتِهِمْ أَنَّ أَبَا ٱلْقَاسِمِ بْنَ فِرْنَاسٍ حَكِيمَ ٱلْأَنْدَلُسِ أَوَّلُ مَنِ ٱسْتَنْبَطَ بِٱلْأَنْدَلُسِ صِنَاعَةَ ٱلزُّجَاجِ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ بِهَا كِتَابَ ٱلْعَرُوضِ لِلْخَلِيلِ وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ ٱلْمُوسِيقَا وَوَضَعَ ٱلْآلَةَ ٱلْمَعْرُوفَةَ بِٱلْمِثْقَالِ لِيَعْرِفَ ٱلْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ وَٱحْتَالَ

فِي تَطْيِيرِ جُثْمَانِهِ وَكَسَا نَفْسَهُ الرِّيشَ وَمَدَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ وَطَارَ فِي الْجَوِّ مَسَافَةً بَعِيدَةً وَلَكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ الِاحْتِيَالَ فِي وُقُوعِهِ فَتَأَذَّى مُؤَخَّرُهُ وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الطَّائِرَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى زِمِكِّهِ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ ذَنَبًا» وَفِيهِ قَالَ مُؤْمِنُ ابْنُ سَعِيدٍ الشَّاعِرُ أَبْيَاتًا مِنْهَا

يَطِمُّ عَلَى الْعَنْقَاءِ فِي طَيَرَانِهَا

إِذَا مَا كَسَا جُثْمَانَهُ رِيشَ قَشْعَمِ

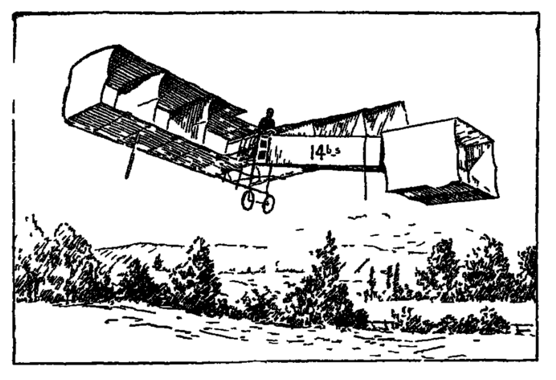
وَقِيلَ إِنَّ أَبَا فِرْنَاسٍ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَعْرِضَ اخْتِرَاعَهُ عَلَى أَهَالِي قُرْطُبَةَ اجْتَمَعَ خَلْقٌ كَثِيرٌ لِمُشَاهَدَتِهِ وَكَانَ نَجَاحُهُ قَلِيلاً لِأَنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الِانْتِقَالِ بِطَيَّارَتِهِ فِي الْجَوِّ بَلْ كُلُّ مَا أَمْكَنَ أَنَّهُ بَقِيَ مُرْتَفِعًا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَسَقَطَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ أَصْوَاتِ الْهُتَافِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالضَّحِكِ

٣٧ — اَلطَّيَرَانُ

إِطَارٌ تَمَتَطِي مَتْنٌ اَلْكَاغدُ اَلزَّعْزَعَةُ

اَلْعِنَانُ صَهْوَةٌ اَلذَّرَائِعُ غِشَاءٌ

اَلدُّوَّامَةُ اَلسُّكَّانُ تَذْلِيلٌ يَتَسَنَّمُ



كُلُّ طِفْلٍ يَتَذَكَّرُ اَلطَّيَّارَةَ اَلصَّغِيرَةَ اَلَّتِي طَالَمَا طَيَّرَهَا فِي اَلْفَضَاءِ وَجَرَى بِهَا اِتِّقَاءَ سُقُوطِهَا إِذَا مَارَآهَا تَثَاقَلَتْ لِيَخْلُقَ لَهَا بِجَرْيِهِ خِفَّةً وَقُوَّةً تَمْتَطِي بِهِمَا مَتْنَ اَلْهَوَاءِ اَلَّذِي يَدْفَعُهَا بِشِدَّةِ مُقَاوَمَتِهِ إِلَى اَلسَّمَاءِ

هَذِهِ ٱلطَّيَّارَةُ ٱلصَّغِيرَةُ تَتَرَكَّبُ مِنْ إِطَارٍ مِنَ ٱلْقَصَبِ أَوِ ٱلْخَشَبِ ٱلرَّفِيعِ عَلَيْهِ كِسَاءٌ مِنَ ٱلْكَاغَدِ أَوِ ٱلْحَرِيرِ ٱلسَّخِيفِ وَطَرَفَاهُ مُتَّصِلَانِ بِخَيْطٍ يَزِيدُ طُولُهُ كَثِيراً عَلَى طُولِ ٱلطَّيَّارَةِ نَفْسِهَا وَعَلَى جَانِبَيْهَا جَنَاحَانِ مِنْ شَرَائِطَ مِنَ ٱلْوَرَقِ يَمْنَعَانِ تَذَبْذُبَهَا وَٱضْطِرَابَهَا ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَفِي طَرَفِهَا ٱلسُّفْلِيِّ ذَيْلٌ مِثْلُ ٱلْجَنَاحَيْنِ يَقِيهَا ٱلزَّعْزَعَةَ وَٱلِٱنْقِلَابَ وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُطِيرَ طَيَّارَتَهُ رَبَطَ ٱلْخَيْطَ ٱلْوَاصِلَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا بِسِلْكٍ طَوِيلٍ مَلْفُوفٍ عَلَى مِسْلَكَةٍ ثُمَّ أَرْخَى لَهَا ٱلْعِنَانَ وَٱجْتَذَبَهَا نَحْوَهُ بِسُرْعَةٍ فَيَلْطِمُهَا ٱلْهَوَاءُ وَهِيَ مَائِلَةٌ عَلَيْهِ فَتَصْعَدُ فِيهِ وَتَمْتَطِي صَهْوَتَهُ وَكُلَّمَا أَطْلَقَ لَهَا ٱلْعِنَانَ ٱبْتَعَدَتْ وَٱرْتَقَتْ إِلَى عَنَانِ ٱلسَّمَاءِ

بِهَذِهِ ٱلذَّرَائِعِ نَفْسِهَا تَذَرَّعَ ٱلْعُلَمَاءُ فِي ٱخْتِرَاعِ مَرَاكِبِ ٱلْهَوَاءِ فَجَعَلُوا لِلْمَرْكَبِ سَطْحاً أَوْ سَطْحَيْنِ

مِنْ غشاء متين مشدُودٍ عَلَى إطَارٍ مُعْتَرِضٍ مِنْ معدِنٍ صُلْبٍ خَفيفٍ هُوَ الْأَلومِنيُومُ وَرَكَّبُوا في وَسَطِهِ آلَةً خَفيفَةَ الْحَملِ شَدِيدَةَ الْقوَّةِ تُدَوِّرُ دُوَّامَةً مَتِينَةً فِي أَحَدِ طَرَفِي الْمرْكَبِ وَذَيَّلُوهُ بِسطحٍ يُؤَثِّرُ فِيهِ تَأْثِيرَ السُّكَّانِ فِي السَّفِينَةِ لِكَيْمَا يَتَجِهَ وَيَسيرَ وَفْقَ رَغْبَةِ رَاكِبِهِ

وَلَقدْ ذَاعَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمغَارِبِهَا خَبَرُ تَذْلِيلِ الْهَوَاءِ وَجَوْبِهِ بِتِلْكَ الْآلاتِ الطَّائِرَةِ فَاهْتَزَّ الْكَوْنُ طَرَبًا وَتَسَابَقَ النَّاسُ إِلَى مَيَادِينِ الطَّيَرَانِ لِيُشَاهِدُوا الْإِنسَانَ الْمَخلُوقَ مِنَ الطِّينِ يَتَسَنَّمُ الْجَوَّ وَيَرْقَى فِيهِ كَأَنَّهُ رُوحٌ مِنَ الْأَرْوَاحِ اللَّطِيفَةِ كَمَا شَاهَدَ أَهْلُ مِصْرَ مِنْ بَدِيعِ آيَاتِ الطَّيَرَانِ فِي مَيْدَانِ مِصْرَ الْجَدِيدَةِ مَا اسْتَوْقَفَ الْأَنْفَاسَ فِي الصُّدُورِ وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تُرَى فِيهِ مَرَاكِبُ الْهَوَاءِ مُتَدَاوَلَةً مُنْتَشِرَةً كَانْتِشَارِ مَرَاكِبِ الْأَرْضِ فَيَصْدُقُ مَثَلُ الْعَوَامِّ « ابْنُ آدَمَ طَيْرٌ وَلَيْسَ

بِطَيْرٍ»

«٣٨ – أَعْرَابُ ٱلْبَادِيَةِ (١)»

يَهِيمُ   مَطَايَا   اَلسُّهُولُ   لَظًى

اَلْعَيْبُ   تَوَغَّلَ   اَلْخُضْرُ   فِطْرَةٌ

خُشُونَةٌ   اَلْأَفْلَاكُ   عِقَالٌ



إِنَّ أَعْرَابَ ٱلْبَادِيَةِ قَوْمٌ رَحَّالَةٌ يَسْكُنُونَ بُيُوتًا مِنَ ٱلشَّعْرِ وَلَا يَبْنُونَ بَيْتًا ثَابِتًا لِأَنَّهُمْ يَهِيمُونَ فِي كُلِّ وَادٍ حَيْثُ طَابَ لَهُمُ ٱلْعَيْشُ ذَاهِبِينَ بِبُيُوتِهِمْ عَلَى ظُهُورِ مَطَايَاهُمْ يَنْصِبُونَهَا حَيْثُ يَبْغُونَ ٱلْإِقَامَةَ وَهُمْ يُعَوِّلُونَ فِي مَعِيشَتِهِمْ عَلَى مَاشِيَتِهِمُ ٱلَّتِي يَغْذُونَهَا بِمَا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنْ كَلَإِ ٱلطَّبِيعَةِ وَيَغْتَذُونَ بِلُحُومِهَا وَأَلْبَانِهَا وَيَتَّخِذُونَ مَازَادَ مِنْهَا وَمِنْ صُوفِهَا وَشَعْرِهَا وَوَبَرِهَا لِسَدِّ مَا بَقِيَ مِنْ حَوَائِجِهِمْ مِنْ مَطْعَمٍ وَمَلْبَسٍ وَمَسْكَنٍ وَاكْتِسَابِ دِرْهَمٍ يَسْتَعِينُونَ بِهِ لَدَى ٱلْحَاجَةِ

وَأَكْثَرُ مَا يَسْكُنُونَ ٱلسُّهُولُ يُرَاقِبُونَ فِيهَا سَيْرَ ٱلْفُصُولِ فَإِذَا ٱشْتَدَّ بِهِمْ لَظَى ٱلْحَرِّ طَلَبُوا ٱلْأَنْهُرَ وَمَجَارِيَ ٱلْمَاءِ وَٱلْأَرَاضِيَ ٱلنَّضِرَةَ

وَإِذَا نَزَلَ ٱلْغَيْثُ وَٱرْتَوَتِ ٱلْأَرْضُ وَأَنْبَتَتْ رَبِيعَهَا تَوَغَّلُوا فِي ٱلْقِفَارِ مُسْتَصْحِبِينَ مَاشِيَتَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَهُمْ

عَلَى كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ لَا يَنْقَطِعُونَ عَنْ مُخَالَطَةِ الْحَضَرِ لِبَيْعِ مَا لَدَيْهِمْ وَشِرَاءِ مَا يَشْتَهُونَ مِنْ طَعَامٍ وَلِبَاسٍ

وَالْبَدْوُ مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى مَا وَرِثُوهُ مِنَ الْعُرْفِ وَالْعَادَةِ إِذْ مَافَتِئُوا عَلَى فِطْرَتِهِمْ مُتَّصِفِينَ بِمَا اتَّصَفُوا بِهِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ وَمَعَ أَنَّ الْبَدَوِيَّ مَوْصُوفٌ بِخُشُونَةِ الطِّبَاعِ وَالْعِنَادِ وَالْغِلْظَةِ فَهُوَ جَامِعٌ لِرِقَّةِ الْإِحْسَاسِ وَدِقَّةِ الْإِدْرَاكِ وَلَا يَزَالُ بَيْنَ الْبَدْوِ حَتَّى الْآنَ بَقِيَّةٌ يَدِينُونَ بِدِينِ أَسْلَافِهِمْ وَيَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ وَالْأَشْجَارَ وَالْأَفْلَاكَ

وَمَلَابِسُ الْبَدْوِ قَمِيصٌ طَوِيلٌ مَشْدُودٌ بِحَبْلٍ عَلَى الْوَسَطِ وَعَلَى الرَّأْسِ الْمَنَادِيلُ الْكُوفِيَّةُ يُثَبِّتُونَهَا بِعِقَالٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّخِذُ الْعَبَاءَةَ فَوْقَ الْقَمِيصِ

(تاريخ العرب وآدابهم لفنديك)

٣٩ — أَعْرَابُ ٱلْبَادِيَةِ (٢)

نَخْوَةٌ أَنَفَةٌ اَلْحَمِيَّةُ شُبُوبٌ

يُغِيرُ قَوَافِلُ اَلرُّمْحُ مَعْقُودَةٌ

اَلْعُرَفَاءُ اَلْفَيْصَلُ اَلْفَارُوقُ



أَمَّا ٱلْبَدَوِيَّاتُ فَهُنَّ فِي ٱلْبَادِيَةِ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنَ

اَلرِّجَالِ وَبِالطَّبْعِ أَلْيَنُ جَانِبًا وَأَرَقُّ طِبَاعًا وَلَسْنَ مَعَ ذَلِكَ دُونَ اَلرِّجَالِ نَخْوَةً وَشَهَامَةً وَأَخْلَاقُهُنَّ بِالْجُمْلَةِ حَمِيدَةٌ وَخَيْرُ مَا يُزَيِّنُهُنَّ عِزَّةُ اَلنَّفْسِ وَأَنَفَةُ اَلْحَمِيَّةِ وَقِيَامُهُنَّ مَقَامَ اَلرِّجَالِ فِي أَكْثَرِ اَلْأَعْمَالِ

وَاَلثَّأْرُ عِنْدَ اَلْبَدْوِ مَشْهُورٌ مِنْ قَبْلِ اَلْإِسْلَامِ وَلَا يَزَالُ بَاقِيًا حَتَّى اَلْآنَ وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ اَلسَّبَبَ فِي شُبُوبِ اَلْعَدَاوَةِ وَاَلْحَرْبِ بَيْنَ قَبِيلَةٍ وَأُخْرَى إِلَّا أَنَّهُ يُعَوَّضُ عَنِ اَلدَّمِ بِالدِّيَةِ فِي بَعْضِ اَلْأَحْيَانِ

وَمِنَ اَلْبَدْوِ عَدَدٌ لَيْسَ بِقَلِيلٍ يَتَعَاطَوْنَ اَلسَّلْبَ وَاَلنَّهْبَ وَيُغِيرُونَ عَلَى قَوَافِلِ اَلْحُجَّاجِ يَسْلُبُونَهَا أَوْ يُلْزِمُونَ اَلرَّكْبَ بِدَفْعِ فِدْيَةٍ يَفْتَدُونَ بِهَا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَفِي غَزَوَاتِهِمْ يَسْتَعْمِلُونَ اَلسَّيْفَ وَاَلرُّمْحَ وَأَكْثَرُ اعْتِمَادِهِمْ عَلَى اَلرِّمَاحِ وَقَدْ شَاعَ اسْتِعْمَالُ اَلْبُنْدُقِيَّاتِ عِنْدَهُمْ فِي هَذِهِ اَلْأَزْمَانِ

أَمَّا ٱلْأَحْكَامُ فِي ٱلْبَادِيَةِ فَمَوْكُولَةٌ إِلَى ٱلشُّيُوخِ وَٱلْأُمَرَاءِ وَهِيَ تُمَثِّلُ مَبَادِئَ ٱلْحُكْمِ ٱلْفِطْرِيِّ فَٱلْقُوَّةُ لِمَنْ غَلَبَ وَتَتْبَعُهَا ٱلثَّرْوَةُ فَلَيْسَ لَهُمْ قَوَانِينُ مَكْتُوبَةٌ وَمَجَالِسُ مَعْقُودَةٌ وَمَعَ ذَلِكَ يَقُومُ ٱلْعُرْفُ أَحْيَانًا مَقَامَ ٱلْقَانُونِ ٱلنَّافِذِ فَيَرْجِعُونَ بِالتَّقَاضِي إِلَيْهِ وَإِنِ ٱخْتَلَفُوا فِي أَمْرٍ أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ رَفَعُوهُ إِلَى ٱلْعُرَفَاءِ وَٱلْعَرِيفُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ ٱلْقَاضِي يَحْكُمُ بِمَا عَرَفَهُ بِالِٱخْتِبَارِ مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ ٱلْعَرَبُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَهُوَ يَقُومُ مَقَامَ ٱلْفَيْصَلِ أَوِ ٱلْفَارُوقِ فِي ٱلْعَهْدِ ٱلْقَدِيمِ وَلَهُ بَيْنَهُمْ مَنْزِلَةٌ كُبْرَى أَمَّا ٱللُّغَةُ فَقَدْ تَطَرَّقَ إِلَيْهَا ٱلْفَسَادُ وَٱسْتَوْلَى عَلَيْهَا ٱلِٱنْحِطَاطُ وَلَوْ أَنَّ ٱلْكَلَامَ فِي ٱلْعَامَّةِ ٱلْبَدْوِ أَصَحُّ مِنْهُ فِي سَائِرِ ٱلْبِلَادِ ٱلَّتِي غَلَبَتْ فِيهَا ٱللُّغَةُ ٱلْعَرَبِيَّةُ فَٱللَّفْظُ أَضْبَطُ وَٱلْكَلَامُ نَقِيٌّ مِنْ خَلِيطِ ٱلْأَلْفَاظِ ٱلْأَعْجَمِيَّةِ

(تاريخ العرب وآدابهم لفنديك)

﴿ ٤٠ — نُكرَانُ ٱلْجمِيلِ ﴾

ٱلتَّجْدِيفُ أَشْرَفَ تَدَارَكَ غَشْيَةٌ

تَبَجَّحَ يُصِمُّ ٱلْيَمُّ جُحُودٌ

زَوْرَقٌ

كَانَ أَمِيرٌ هِنْدِيٌّ مُغْرَمًا بِٱلتَّجْدِيفِ وَٱتَّفَقَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ أَوْقَعَهُ سُوءُ حَظِّهِ فِي ٱلنَّهْرِ فَأَشْرَفَ عَلَى ٱلْغَرَقِ لَوْلَا أَنَّ عَبْدًا تَدَارَكَهُ وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي ٱلْبَحْرِ وَرَاءَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ وَحَمَلَهُ إِلَى ٱلشَّاطِئِ وَهُوَ فِي غَشْيَةٍ مِنَ ٱلرُّعْبِ وَمِنَ ٱلْمَاءِ ٱلَّذِي ٱبْتَلَعَهُ وَلَمَّا أَفَاقَ أَرْسَلَ فِي إِحْضَارِ مَنْ نَجَّاهُ فَإِذَا هُوَ عَبْدٌ فَقَالَ لَهُ ٱلْأَمِيرُ «كَيْفَ تَجْرَأُ أَنْ تَمَسَّ سَيِّدَكَ ٱلطَّاهِرَ ٱلْمُقَدَّسَ بِتِلْكَ ٱلْيَدِ ٱلنَّجِسَةِ ٱلذَّلِيلَةِ» فَقَالَ ٱلْعَبْدُ «إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ يَامَوْلَايَ لِأُنْقِذَكَ مِنَ ٱلْغَرَقِ» فَقَالَ ٱلْأَمِيرُ «لَقَدْ لَوَّثْتَ بَدَنِي أَيُّهَا ٱلْعَبْدُ ٱلْوَضِيعُ وَلَيْسَ لَكَ عِنْدِي إِلَّا ٱلْإِعْدَامُ جَزَاءَ

تَبْجَحكَ » وَبَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ قَصِيرَةٍ خَرَجَ الْأَمِيرُ يُجَدِّفُ كَعَادَتِهِ وَحَاوَلَ الاِنْتِقَالَ مِنْ زَوْرَقٍ إِلَى آخَرَ فَهَوَى بَيْنَ الزَّوْرَقَيْنِ وَلَمْ يَسْعَ أَحَدٌ لِإِنْقَاذِهِ فَصَاحَ وَاسْتَغَاثَ وَلَا مُجِيبَ وَلَا مُغِيثَ وَلَـكِنَّ صَوْتاً رَنَّ فِي أُذُنَيْهِ حَتَّى كَادَ يُصِمُّهُمَا وَهُوَ يَقُولُ « هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ بَعْدَ عَمَلٍ مِنْكَ قَدْ فَاتَ فَذُقْ كَأْسَ الْمَمَاتِ » فَقَذَفَهُ الْيَمُّ وَابْتَلَعَهُ الْبَحْرُ وَمَاتَ غَرِيقاً يَلْقَى عَذَابَهُ مِنْ خَالِقِ تِلْكَ النَّفْسِ الْبَرِيئَةِ الَّتِي قَتَلَهَا بِجُحُودِهِ وَكُفْرَانِهِ

﴿ ٤١ — تَنَازُعُ الْبَقَاءِ ﴾

خَافِقَةٌ	تَلْعَةٌ	كِنٌّ	مَرْبِضٌ
مَذُودٌ	سُوقَةٌ	نُجْعَةٌ	الرُّوَّادُ
أَوْمَضَ	دَحَرَ	جَنْدَلَ	

إِذَا نَظَرَ الْعَاقِلُ فِيمَا حَوْلَهُ نَظَرَ الْحَكِيمِ رَأَى أَعْلَامَ الْحَرْبِ خَافِقَةً فَوْقَ كُلِّ نَبْتَتَيْنِ فِي تَلْعَةٍ وَفَوْقَ كُلِّ

طَائِرَيْنِ فِي كِنٍّ وَكُلِّ شَاتَيْنِ عَلَى مَرْبِضٍ وَكُلِّ جَوَادَيْنِ عَلَى مَذْوِدٍ وَبَيْنَ جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ فِي الْهَيْئَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ عُلَمَاءَ وَجُهَلَاءَ سُوقَةً وَأَعْيَانًا مُلُوكًا وَعَبِيدًا أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ مُتَمَدِّنِينَ وَمُتَوَحِّشِينَ رِجَالًا وَنِسَاءً كِبَارًا وَصِغَارًا بَلْ بَيْنَ الْأَدْيَانِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْآرَاءِ الْفَلْسَفِيَّةِ وَالْمَذَاهِبِ الْعِلْمِيَّةِ وَبَيْنَ اللُّغَاتِ وَالْعَادَاتِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ بَلْ بَيْنَ الْعَوَاطِفِ وَالْمَدَارِكِ فَالْوُجُودُ كُلُّهُ حَرْبٌ فِي حَرْبٍ فِي حَرْبٍ

وَإِذَا أَعَدْنَا النَّظَرَ فِي تَارِيخِ الدُّوَلِ رَأَيْنَا حَلَقَاتِ التَّنَازُعِ مُتَوَالِيَةً وَالدُّوَلَ فِي صُعُودٍ وَهُبُوطٍ

فَفِي فَجْرِ التَّارِيخِ كَانَتِ الدَّوْلَةُ الْمِصْرِيَّةُ قَابِضَةً عَلَى زِمَامِ الْأَحْكَامِ فِي الْعَالَمِ الْمُتَمَدِّنِ وَكَانَتْ مَدَائِنُهَا وَأَسْوَاقُهَا وَمَدَارِسُهَا كَعْبَةَ الْقُصَّادِ وَنُجْعَةَ الرُّوَّادِ وَظَلَّتْ رَبَّةَ الْمَمَالِكِ وَالْأَمْصَارِ حَتَّى بَرَزَتْ إِلَى عَالَمِ

ٱلْوُجُود ٱلدَّوْلَةُ ٱلْأَشُورِيَّةُ ٱلَّتِي نَشَأَتْ فِي نِينَوَى وَٱمْتَدَّتْ
شَرْقًا وَغَرْبًا وَشَمَالًا وَجَنُوبًا حَتَّى ٱحْتَكَّتْ بِالدَّوْلَةِ ٱلْمِصْرِيَّةِ
فَأَوْمَضَ بَيْنَهُمَا شَرَرُ ٱلْحَرْبِ وَٱسْتَعَرَتْ نِيرَانُ ٱلْمَعَارِكِ
حَتَّى ٱنْجَلَتْ عَنْ فَوْزِ ٱلْأَشُورِيِّينَ فَأَجْلَوْهُمْ عَنْ رُبُوعِ
آسِيَا وَحَلُّوا مَحَلَّهُمْ إِلَى نُهُوضِ ٱلْمَادِيِّينَ بِقِيَادَةِ كِيكْسَارِسَ
فَدَحَرَ ٱلْأَشُورِيِّينَ وَحَلَّ مَحَلَّهُمْ وَخَلَفَهُ فِي سِيَادَةِ ٱلْمَشْرِقِ
خُلَفَاؤُهُ إِلَى ظُهُورِ ٱلْإِسْكَنْدَرِ ٱلْكَبِيرِ ٱلَّذِي ٱنْدَفَعَ
مِنْ وَرَاءِ ٱلدَّرْدَنِيلِ ٱنْدِفَاعَ ٱلشِّبْلِ إِلَى ٱلْفَرِيسَةِ وَهَبَطَ
عَلَى أَقَالِيمِ آسِيَا وَإِفْرِيقِيَّةَ هُبُوطَ ٱلْكَوَاسِرِ عَلَى صِغَارِ
ٱلطُّيُورِ فَجَنْدَلَ أَبْطَالَهَا وَدَوَّخَ أَمْصَارَهَا وَتَسَنَّمَ عُرُوشَهَا
وَأَجْهَزَ عَلَى مَمَالِكِ مِصْرَ وَفَارِسَ وَصُورَ وَغَيْرِهَا وَبَسَطَ
ظِلَّهُ عَلَى ٱلْأَقَالِيمِ ٱلْمُمْتَدَّةِ مِنَ ٱلْكَنْجِ إِلَى ٱلنِّيلِ وَمِنْ
نَجْدٍ إِلَى ٱلدَّانُوبِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ ٱنْقَسَمَتْ مَمْلَكَتُهُ ٱلْوَاسِعَةُ
ٱلنِّطَاقِ إِلَى أَرْبَعٍ ٱثْنَتَانِ مِنْهَا سُورِيَّةُ وَمِصْرُ وَسَادَ

ٱلْأُولَى ٱلْأَنَاطِحَةُ وَٱلثَّانِيَةَ ٱلبطَالِسَةُ وَحرُوبهَا تُحَاكِي حرُوبَ ٱلْوَرْدَتيْن فِي تَارِيخ إِنـكلتِرَا وَلَازَالتَا فِي كرّ وَفرّ إِلَى ٱنْتِهَاءِ مَجْرَاهُمَا ٱلتَّارِيخِيّ فِي حِجْرِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلرُّومَانِيَّةِ ٱلَّتِي ٱلْتَهَمَتِ ٱلْمَمَالِكَ ٱلْمُجَاوِرَةَ لَهَا ٱلْتِهَامَ ٱلْبَحْرِ ٱلْمُحِيطِ ٱلْجَدَاوِلَ ٱلْجَارِيَةَ إِلَيْهِ

﴿ ٤٢ — اَلْخَلِيفَةُ وَرَئِيسُ ٱلشُّرْطَةِ ﴾

اَلشُّرْطَةُ	نُدَمَاءُ	أَيْقَنَ	مُتَكَفِّنٌ
مُتَحَنِّطٌ	اَلنِّطعُ	اِسْتَدْنَى	خَلَعَ
أُفِيضَ	زَلْزَلَ	اَلضَّوْضَاءُ	

قَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَالِكٍ كُنْتُ أَتَوَلَّى ٱلشُّرْطَةَ لِلْخَلِيفَةِ ٱلْمَهْدِيِّ وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَيَّ فِي نُدَمَاءِ وَلَدِهِ ٱلْهَادِي أَنْ أَضْرِبَهُمْ وَأَحْبِسَهُمْ صِيَانَةً لِلْهَادِي عَنْهُمْ فَيَبْعَثُ إِلَيَّ ٱلْهَادِي يَسْأَلُنِي ٱلرِّفْقَ بِهِمْ وَٱلتَّخْفِيفَ فِي أَمْرِهِمْ فَلَا أَلْتَفِتُ إِلَى ذَلِكَ وَأَمْضِي لِمَا يَأْمُرُ بِهِ ٱلْمَهْدِيُّ فَلَمَّا وَلِيَ

ٱلْهادِي ٱلْخِلَافَةَ أَيْقَنْتُ بِٱلتَّلَفِ فَبَعَثَ إِلَيَّ يَوْماً فَحَضَرْتُ وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ مُتَكَفِّناً مُتَحَنِّطاً وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ وَٱلنِّطْعُ وَٱلسَّيْفُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ «لَا سَلَّمَ ٱللّٰهُ عَلَيْكَ أَتَذْكُرُ يَوْماً بَعَثْتُ إِلَيْكَ فِي أَمْرِ ٱلْحَزَامِيِّ لَمَّا أَمَرَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِضَرْبِهِ فَلَمْ تُجِبْنِي وَفِي فُلَانٍ وَفُلَانٍ» وَجَعَلَ يُعَدِّدُ نُدَمَاءَهُ «فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِي» قُلْتُ «نَعَمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَفَتَأْذَنُ أَنْ أَتَكَلَّمَ» قَالَ «نَعَمْ» قُلْتُ «أَنْشُدُكَ ٱللّٰهَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَسُرُّكَ أَنَّكَ وَلَّيْتَنِي مَا وَلَّانِي أَبُوكَ وَأَمَرْتَنِي بِأَمْرٍ فَبَعَثَ إِلَيَّ بَعْضُ وَلَدِكَ بِأَمْرٍ يُخَالِفُ أَمْرَكَ فَٱتَّبَعْتُ أَمْرَهُ وَعَصَيْتُ أَمْرَكَ» قَالَ «لَا» قُلْتُ «فَكَذَلِكَ أَنَا لَكَ وَكَذَلِكَ كُنْتُ لِأَبِيكَ» فَٱسْتَدْنَانِي فَقَبَّلْتُ يَدَهُ فَأَمَرَ بِخِلَعٍ أُفِيضَتْ عَلَيَّ وَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَصِرْتُ إِلَى مَنْزِلِي مُفَكِّراً فِي أَمْرِهِ وَأَمْرِي وَخِفْتُ إِنْ حَدَّثَ ٱلْقَوْمَ

بِالْأَمْرِ الَّذِي عَصَيْتُهُ فِيهِ أَنْ يُزِيلُوهُ عَنْ رَأْيِهِ فِيَّ وَإِنِّي لَجَالِسٌ وَبَيْنَ يَدَيَّ خُبْزٌ وَأَنَا أُسَخِّنُهُ وَأُطْعِمُهُ الصِّبْيَةَ حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا قَدِ اقْتُلِعَتْ وَزُلْزِلَتْ مِنْ شِدَّةِ وَقْعِ حَوَافِرِ الْخَيْلِ وَكَثْرَةِ الضَّوْضَاءِ وَإِذَا الْبَابُ قَدْ فُتِحَ وَإِذَا الْخَدَمُ قَدْ دَخَلُوا وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَسَطِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَثَبْتُ مِنْ مَجْلِسِي فَقَالَ « خِفْتُ يَاعَبْدَ اللهِ أَنْ يَسْبِقَ إِلَى قَلْبِكَ سُوءُ الظَّنِّ بِأَعْدَائِكَ فَيُزِيلُونَ مَاحَسُنَ مِنْ رَأْيِي فِيكَ فَصِرْتُ إِلَى مَنْزِلِكَ لِأُؤَانِسَكَ وَأُعْلِمَكَ أَنَّ الْوَحْشَةَ قَدْ زَالَتْ فَلَا تَسْتَوْحِشْ »

(العقد الفريد للملك السعيد)

٤٣ — التَّحْذِيرُ مِنْ هَوَى النَّفْسِ

مَحَّضَ	عَذَلٌ	أَمَّارَةٌ	نَذِيرٌ
فِرًى	مُحْتَشِمٌ	أُوَقِرُ	الْكَتَمُ
جِمَاحٌ	يَصِمُ	سَائِمَةٌ	مَخْمَصَةٌ

التُّخَمُ   عُقْمٌ   حِمْيَةٌ   نَافِلَةٌ

مَحَضْتَنِي النُّصحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ

إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُذَّالِ فِي صَمَمِ

إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ

وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ

فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ

مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قِرَى

ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أُوَقِّرُهُ

كَتَمْتُ سِرًّا بَدَا لِي مِنْهُ بِالْكَتَمِ

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا

كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجُمِ

فَلَا تَرُمْ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا

إِنَّ ٱلطَّعَامَ يُقَوِّى شَهْوَةَ ٱلنَّهِمِ

وَٱلنَّفْسُ كَٱلطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى

حُبِّ ٱلرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

فَٱصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ

إِنَّ ٱلْهَوَى مَا تَوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ

وَرَاعِهَا وَهْيَ فِى ٱلْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ

وَإِنْ هِيَ ٱسْتَحْلَتِ ٱلْمَرْعَى فَلَا تُسِمِ

كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً

مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ ٱلسَّمَّ فِى ٱلدَّسَمِ

وَٱخْشَ ٱلدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ

فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ ٱلتُّخَمِ

وَٱسْتَفْرِغِ ٱلدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ ٱمْتَلَأَتْ

مِنَ ٱلْمَحَارِمِ وَٱلْزَمْ حِمْيَةَ ٱلنَّدَمِ

وَخَالِفِ ٱلنَّفْسَ وَٱلشَّيْطَانَ وَٱعْصِهِمَا

وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ ٱلنُّصْحَ فَٱتَّهِمِ

وَلَا تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْماً وَلَا حَكَماً
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ ٱلْخَصْمِ وَٱلْحَكَمِ

أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلَا عَمَلٍ
لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِى عُقُمِ

أَمَرْتُكَ ٱلْخَيْرَ لَكِنْ مَا ٱئْتَمَرْتُ بِهِ
وَمَا ٱسْتَقَمْتَ فَمَا قَوْلِى لَكَ ٱسْتَقِمِ

وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ نَافِلَةً
وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

(البردة للبوصيرى)

﴿ ٤٤ — مَصْنَعُ ٱلْجِسْمِ ﴾

ٱلرَّبَاعِيَاتُ ٱلنَّوَاجِذُ ٱلْمَرِىءُ ٱللُّعَابُ

ٱلِازْدِرَادُ زِقٌّ مَعْقُوفٌ ٱلْمَصِيرُ

ٱلْمِعَا

جِسْمُ ٱلْإِنْسَانِ
دَائِمُ ٱلْحَرَكَةِ ظَاهِرًا
وَبَاطِنًا لَا يَقِفُ عَنْ
أَدَاءِ أَعْمَالِهِ ٱلَّتِي
تَقُومُ بِهَا ٱلْحَيَاةُ وَلَكِنَّ
هَذِهِ ٱلْحَرَكَةَ تَبْرِيهِ
وَتُفْقِدُهُ شَيْئًا مِنْ
مَادَّتِهِ فَيَحْتَاجُ دَائِمًا
إِلَى تَجْدِيدِ مَا فَقَدَ وَتَعْوِيضِهِ فِي مَصْنَعٍ مِنَ ٱلْمَصَانِعِ كَمَا
يَحْصُلُ فِي سَائِرِ ٱلْعُدَدِ ٱلْآلِيَّةِ

وَيَخْتَلِفُ ٱلْجِسْمُ عَنْ هَذِهِ ٱلْعُدَدِ بِأَنَّهُ يَحْمِلُ مَصْنَعَهُ
فِي جَوْفِهِ يُجَدِّدُ بِهِ مَادَّتَهُ كُلَّ لَحْظَةٍ بِغَيْرِ تَوَانٍ أَوْ بَطَالَةٍ
وَيَزِيدُ عَلَيْهَا فِي حَدَاثَةِ ٱلسِّنِّ قَدْرًا يُنَاسِبُ حَالَةَ نَمَائِهِ
وَهَذَا ٱلْمَصْنَعُ مِنْ أَدَقِّ ٱلْمَصَانِعِ وَأَبْدَعِهَا تَكْوِينًا

وَتَرْكِيبًا يُحِيلُ صُنُوفَ ٱلْغِذَاءِ مِنْ نَبَاتٍ وَلَحْمٍ وَشَحْمٍ وَسَائِلٍ إِلَى لَحْمٍ وَدُهْنٍ وَعِظَامٍ وَدَمٍ خَالِصٍ وَيَطْرَحُ ثُفْلَهَا ٱلْفَاسِدَ مِنْ مَجَارٍ وَمَسَارِبَ كَيْلَا يَبْقَى فِي ٱلْجِسْمِ فَسَادٌ

يَدْخُلُ ٱلْغِذَاءُ فِي ٱلْفَمِ فَتَقْضِمُهُ ٱلرَّبَاعِيَاتُ وَتُمَزِّقُهُ ٱلْأَنْيَابُ وَتَطْحَنُهُ ٱلنَّوَاجِذُ وَيُؤَثِّرُ فِيهِ ٱللُّعَابُ وَيُحِيلُهُ إِلَى عَجِينَةٍ مَائِعَةٍ سَهْلَةِ ٱلِازْدِرَادِ فِي ٱلْمَرِيءِ ٱلَّذِي تَجْرِي فِيهِ إِلَى أَنْ تَدْخُلَ ٱلْمَعِدَةَ فَتَخْتَلِطَ بِعَصِيرِهَا وَتَمْتَزِجَ بِهِ تَمَامَ ٱلِامْتِزَاجِ لِأَنَّ جَوْفَ ٱلْمَعِدَةِ فِي حَرَكَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ تُقَلِّبُ ٱلطَّعَامَ وَٱلْعَصِيرَ فَيَتَّحِدَانِ وَيَسْتَحِيلُ ٱلطَّعَامُ إِلَى مَادَّةٍ مَائِعَةٍ لَا تُشْبِهُ أَصْلَ جَوْهَرِهَا وَٱلْمَعِدَةُ مَمْدُودَةٌ عَلَى عَرْضِ ٱلْبَطْنِ وَهِيَ شِبْهُ زِقٍّ صَغِيرٍ فَمُهَا فِي ٱلْيَسَارِ يَضِيقُ مِنْ فَوْقُ لِيَتَّصِلَ بِٱلْمَرِيءِ وَبِطَانَتُهَا تَحْتَوِي عَلَى غِشَاءٍ يُحَاكِي ٱلْقَطِيفَةَ وَطَرَفُهَا ٱلْأَيْمَنُ مَعْقُوفٌ إِلَى أَسْفَلَ لِيَتَّصِلَ بِٱلْمَصِيرِ ٱلَّذِي يَنْزِلُ فِيهِ ٱلطَّعَامُ بَعْدَ هَضْمِهِ

فَيَعمَلُ فِيهِ ٱلْمِعَا وَإِفْرَازُ ٱلْكَبِدِ ثُمَّ تَمْتَصُّ عُرُوقُ ٱلدَّمِ خُلَاصَتَهُ وَتَسِيرُ بِهَا إِلَى جَمِيعِ ٱلْأَعْضَاءِ فَيَأْخُذُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهَا قِسطاً عَلَى قَدْرِ ٱحْتِيَاجِهِ وَمَا بَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ ثُفْلٌ فَاسِدٌ يَتَسَرَّبُ فِي ٱلْأَمْعَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ ٱلْجِسْمِ وَمِنْ هَذَا ٱلْبَيَانِ تَتَّضِحُ فَائِدَةُ إِحْسَانِ مَضْغِ ٱلطَّعَامِ وَجَعْلِ فَتْرَةٍ بَيْنَ كُلِّ أَكْلَةٍ وَأُخْرَى تَكْفِي لِتَمَامِ ٱلْهَضْمِ حَتَّى لَا يَدْخُلَ طَعَامٌ لَمْ يُهْضَمْ عَلَى آخَرَ هُضِمَ بَعْضَ ٱلْهَضْمِ لِئَلَّا تُجْهَدَ ٱلْمَعِدَةُ فَتَكِلَّ وَتَمْرَضَ

﴿ ٤٥ — فِي سَبِيلِ ٱلْوَطَنِ ﴾

مَشَافِرُ	ظُبَاتٌ	يَتَسَرَّبُ	صَرْعَى
مُضَرَّجٌ	بَثٌّ	صَدْعٌ	شَوْكَةٌ
مِغْوَارٌ	فُرْصَةٌ	تُنَكِّلُ	ٱلْمُتَحَفِّزَةُ
يَذُودُ	عَرِينٌ	ٱلْأَسِنَّةُ	ٱلثُّلْمَةُ
ٱلدَّمَارُ			



فى أَوَاخِرِ ٱلْقَرْنِ ٱلرَّابِعَ عَشَرَ ٱلْمِيلَادِ كَانَتِ ٱلْحَرْبُ نَاشِبَةً بَيْنَ ٱلنَّمْسَوِيِّينَ وَٱلسُّوِسْرِيِّينَ ٱلَّذِينَ هَاجُوا يَطْلُبُونَ ٱسْتِقْلَالَ بِلَادِهِمْ مِنْ أَيْدِى ٱلْغَاصِبِينَ عَلَى مَشَافِرِ ٱلسُّيُوفِ وَظُبَاتِ ٱلرِّمَاحِ فَهَاجَمَهُمُ ٱلنَّمْسَوِيُّونَ وَتَكَاثَرُوا عَلَيْهِمْ فِى وَقْعَةِ سِمْبَاخ وحَصَرُوهُمْ فِى أَجَمَةٍ كَثِيفَةِ ٱلْأَشْجَارِ وَأَحَاطُوا بِهِمْ وَضَيَّقُوا عَلَيْهِمُ ٱلْخِنَاقَ حَتَّى كَادَ ٱلْيَأْسُ يَتَسَرَّبُ إِلَى نُفُوسِهِمُ ٱلْبَاسِلَةِ ٱلْمُسْتَمِيتَةِ فِى سَبِيلِ خَلَاصِ ٱلْوَطَنِ وَٱفْتِدَائِهِ بِٱلْأَمْوَالِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْأَنْفُسِ وَكُلَّمَا خَرَجَ نَفَرٌ مِنْهُمْ يُهَاجِمُونَ ٱلْعَدُوَّ وَقَعُوا صَرْعَى عَلَى رُءُوسِ ٱلرِّمَاحِ

ٱلْمَصْفُوفَةِ مُضَرَّجِينَ بِدِمَائِهِمُ ٱلزَّكِيَّةِ وَأَرْوَاحُهُمُ ٱلْبَرِيئَةُ تَشْكُو إِلَى ٱللهِ بَثَّهَا وَبَلْوَاهَا مِنْ ظُلْمِ ٱلظَّالِمِينَ

وَلَمَّا ضَاقَتْ بِهِمُ ٱلْحِيَلُ فِي صَدْعِ صُفُوفِ ٱلنِّمْسَوِيِّينَ وَكَسْرِ شَوْكَتِهِمْ بَرَزَ وِنْكِلْرِيدُ ٱلسُّوِسْرِيُّ مِنْ بَيْنِ مُوَاطِنِيهِ وَصَاحَ بِهِمْ صَيْحَةَ شَهْمٍ مِغْوَارٍ أَنِ ٱتْبَعُونِي أَفْسَحْ لَكُمْ فُرْجَةً فِي صُفُوفِ ٱلْعَدُوِّ فَتُنَكِّلُوا بِهِمْ تَنْكِيلاً وَخَرَجَ يَعْدُو مُسْتَقْبِلاً تِلْكَ ٱلرِّمَاحَ ٱلْمُتَحَفِّزَةَ لِإِعْدَامِهِ وَوَثَبَ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ وَثْبَةَ ٱللَّيْثِ يَذُودُ عَنْ عَرِينِهِ وَقَبَضَ بِيَدَيْهِ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ ٱلْأَسِنَّةِ فَٱخْتَرَقَتْ صَدْرَهُ وَمَزَّقَتْ فُؤَادَهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَحْفِلْ بِمَا ٱنْتَابَهُ مِنَ ٱلْآلَامِ وَلَبِثَ قَابِضاً عَلَى ٱلرِّمَاحِ يُمَكِّنُهَا مِنْ صَدْرِهِ وَخَرَّ بِهَا عَلَى ٱلْأَرْضِ فَأَقْبَلَ مُوَاطِنُوهُ عَلَى تِلْكَ ٱلثُّلْمَةِ فِي صُفُوفِ ٱلْأَعْدَاءِ وَأَشْبَعُوهُمْ طَعْناً وَضَرْباً وَتَقْتِيلاً

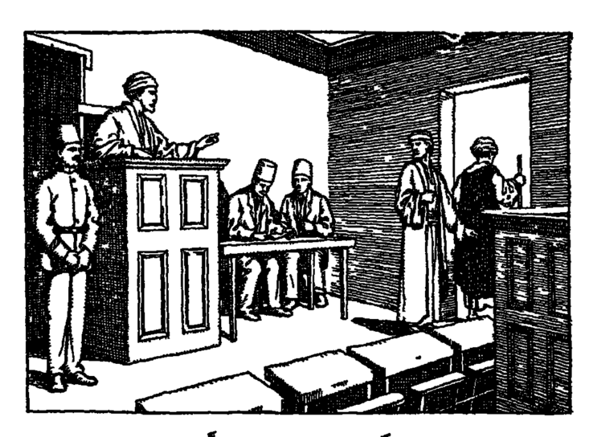
فَٱضْطَرَبَتْ تِلْكَ ٱلصُّفُوفُ وَٱرْتَعَبَ ٱلْعَسْكَرُ وَخَارَ

بَأْسهُمْ وَاخْتَلَّ نِظَامُهُمْ وَانْقَلَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ثُمَّ لَاذُوا بِأَذْيَالِ الْفِرَارِ خَوْفاً مِمَّا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالدَّمَارِ «وَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» فَانْتَصَرَ السُّوِسْرِيُّونَ الْأَبْطَالُ وَتَمَتَّعُوا بِالْحُرِّيَّةِ وَالِاسْتِقْلَالِ بَعْدَ أَنْ بَذَلَ بَطَلُهُمْ وِنْكِلْرِيدُ حَيَاتَهُ الشَّرِيفَةَ وَمَاتَ شَهِيدَ الْإِخْلَاصِ

﴿ ٤٦ — ذَكَاءُ الْقَاضِي ﴾

اَلدِّيبَاجُ	عَرَا	يُبَلُّ	اَلتَّرَيُّثُ
يَحْفُرُ	يُدَلِّسُ	مُتَنَكِّرٌ	يَسْبُرُ
فِرْيَةٌ	قِيدُ	مُبْهَمٌ	

اِسْتَأْجَرَ أَحَدُ التُّجَّارِ جَمَّالاً يَحْمِلُ لَهُ بِضَاعَةً نَفِيسَةً مِنَ الْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ اشْتَرَاهَا مِنْ حَلَبَ لِيَتَّجِرَ بِهَا فِي إِسْتَنْبُولَ وَاتَّفَقَ مَعَهُ عَلَى كِرَاءٍ مَعْدُودٍ وَسَارَ الرَّكْبُ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ آمِناً مُطْمَئِنّاً



وَبَعْدَ مَسِيرَةِ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ عَرَا التَّاجِرَ مَرَضٌ شَدِيدٌ اضْطَرَّهُ إِلَى التَّخَلُّفِ عَنِ الرَّكْبِ وَالتَّرَيُّثِ فِي أَقْرَبِ قَرْيَةٍ يَتَمَرَّضُ فِيهَا حَتَّى يُبَلَّ فَوَصَّى الْجَمَّالَ بِمَتَاعِهِ وَأَذِنَ لَهُ بِمُتَابَعَةِ السَّيْرِ عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَانْتِظَارِهِ فِي إِسْتَنْبُولَ إِلَى أَنْ يَلْحَقَ بِهِ

وَمَا كَادَ الْجَمَّالُ يَبْلُغُ ذَلِكَ الْمَكَانَ الْقَصِيَّ حَتَّى وَسْوَسَ الشَّيْطَانُ فِي صَدْرِهِ وَسَوَّلَتْ لَهُ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ أَنْ يَخْفِرَ ذِمَّتَهُ وَيَنْقُضَ عَهْدَهُ وَيَخُونَ مَنِ ائْتَمَنَهُ

فبَاعَ ٱلْبضَاعـةَ بِثَمَنٍ بَخْسٍ وَغَيَّرَ ٱسْمَهُ وَلَبُوسَهُ وَٱدَّعَى أَنَّهُ تَاجِرٌ لِيُدَلِّسَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلِكَيْلَا يَهْتَدِيَ ٱلتَّاجِرُ إِلَيْهِ مَتَى حَضَرَ وَجَدَّ فِي ٱلْبَحْثِ عَنْهُ وَلَمَّا قَدِمَ ٱلتَّاجِرُ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ طَلَبَ ٱلرَّجُلَ فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ فَطَفِقَ يَطُوفُ أَنْحَاءَهَا لَعَلَّهُ يَقَعُ بِهِ بِٱلْمُصَادَفَةِ فَرَآهُ فِي ٱلطَّرِيقِ مُتَنَكِّراً مُسْتَخْفِياً فِي زِيِّ ٱلتُّجَّارِ فَأَمْسَكَ بِتَلَابِيبِهِ وَٱسْتَصْرَخَ وَٱسْتَغَاثَ فَأَقْبَلَ رِجَالُ ٱلشُّرْطَةِ وَسَاقُوهُمَا إِلَى ٱلْقَاضِي وَهُنَاكَ قَصَّ ٱلتَّاجِرُ قِصَّتَهُ فَأَنْكَرَهَا ٱلْجَمَّالُ وَقَالَ إِنَّهَا فِرْيَةٌ كَاذِبٍ مُحْتَالٍ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَلِبَ مَا مَعَهُ مِنَ ٱلْمَالِ وَلَمْ يَكُنْ لَدَى ٱلتَّاجِرِ ٱلْمَسْرُوقِ بَيِّنَةٌ يُقِيمُ بِهَا حُجَّتَهُ عَلَى غَرِيمِهِ وَأَدْرَكَ ٱلْقَاضِي مِنْ خِلَالِ ٱلْحَدِيثِ أَنَّ ٱلتُّهَمَةَ صَحِيحَةٌ فَصَمَّمَ عَلَى أَنْ يَسْبُرَ ٱلْمَسْأَلَةَ بِٱلْحِيلَةِ وَٱلدَّهَاءِ فَأَمَرَ ٱلرَّجُلَيْنِ بِٱلِانْصِرَافِ مِنْ أَمَامِهِ حَتَّى إِذَا مَا أَبْعَدَا عَنْهُ قِيدَ قَصَبَةٍ صَاحَ عَلَيْهِمَا « يَا جَمَّالُ » فَٱلْتَفَتَ

ذَلِكَ ٱلْخُئُونُ ٱلْمُتَنَكِّرُ وَقَالَ « مَهْيَمْ » فَقَامَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ وَأُجْبِرَ عَلَى رَدِّ ٱلْمَالِ إِلَى صَاحِبِهِ وَنَالَ شَدِيدَ ٱلْعِقَابِ جَزَاءَ مَا ٱقْتَرَفَ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ وَٱلْعُدْوَانِ

﴿ ٤٧ — آيَاتُ ٱلْوَفَاءِ ﴾

إِبَّانٌ يَلْجَأُ أَهْدَابٌ مَأْوًى

هَلَعَ رَوْعٌ

مِنْ عَجَائِبِ مَا يُؤْثَرُ إِبَّانَ فَتْحِ ٱلْأَنْدَلُسِ أَنَّ شَابًّا إِسْبَانِيًّا ٱعْتَدَى عَلَى آخَرَ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْعَرَبِ وَقَتَلَهُ ثُمَّ فَرَّ هَارِبًا حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى بُسْتَانٍ فَارْتَأَى أَنْ يَلْجَأَ إِلَيْهِ فَدَخَلَهُ فَوَجَدَ فِيهِ شَيْخًا جَلِيلًا قَدْ نَاهَزَ ٱلْمِائَةَ مِنْ عُمْرِهِ فَتَعَلَّقَ بِأَهْدَابِهِ لِيُجِيرَهُ مِنْ أَذَى أَعْدَائِهِ

فَجَاءَ بِهِ ٱلرَّجُلُ إِلَى مَأْوًى مُنْفَرِدٍ وَخَبَّأَهُ فِيهِ وَبَعْدَ ذَلِكَ عَلَا ٱلصِّيَاحُ بِفِنَاءِ ٱلْبُسْتَانِ وَدَخَلَ نَفَرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ يَحْمِلُونَ ٱلْقَتِيلَ فَنَظَرَهُ ٱلشَّيْخُ فَوَجَدَهُ ٱبْنَهُ وَٱعْتَقَدَ أَنَّ



ذَلِكَ ٱلشَّابُّ ٱلَّذِي ٱخْتَبَأَ لَدَيْهِ هُوَ ٱلَّذِي قَتَلَهُ فَأَخَذَ مِنْهُ ٱلْأَسَى كُلَّ مَأْخَذٍ وَلَكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ وَسَكَّنَ جَأْشَهُ وَٱنْزَوَى فِي إِحْدَى حُجُرَاتِ بَيْتِهِ حَتَّى أَتَى ٱللَّيْلُ وَهَدَأَتِ ٱلْأَصْوَاتُ ثُمَّ قَامَ وَدَخَلَ عَلَى ٱلْفَتَى وَنَبَّأَهُ بِٱلْأَمْرِ فَلَمَّا وَعَى ٱلْفَتَى قَوْلَهُ هَلَعَ فُؤَادُهُ وَرَأَى ٱلْمَوْتَ عِيَانًا فَأَخَذَ ٱلرَّجُلُ يُؤَمِّنُهُ وَيُهَدِّئُ رَوْعَهُ حَتَّى سُرِّيَ هَمُّهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ «مَا كُنْتُ لِأَخْفِرَ ذِمَّتِي وَأَنْقُضَ عَهْدِي وَلَكِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَجِيءَ قَوْمِي وَيُسِيئُوا إِلَيْكَ خُذْ مُؤُونَةَ سَفَرِكَ وَٱرْحَلْ عَنِّي وَٱللهُ ٱلْبَارِئُ وَلِيُّ أَمْرِي»

﴿٤٨ — وَصْفُ مِصْرَ﴾

دَاهِيَةٌ	أَساطِينُ	اِمْتِشَاقٌ	رِبْقَةٌ
يَسُومُونَ	اَلْخَسْفُ	اَلْآفَاقُ	اِسْتَتَبَّ
غَبْرَاءُ	أَعْفَرُ	عَجَاجٌ	نَكَصَ
طَمَى	اَلرَّابِيَةُ	زَبَرْجَدَةٌ	صَنَادِيدُ

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بَطَلٌ مِغْوَارٌ مِنْ صَنَادِيدِ قُوَّادِ الْمُسْلِمِينَ وَدَاهِيَةٌ مِنْ أَساطِينِ السِّيَاسَةِ الْمُجَرِّبِينَ أَوْفَدَهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِيَفْتَحَ مِصْرَ فَتَلَقَّاهُ أَهْلُهَا الْقِبْطُ بِغَيْرِ امْتِشَاقِ الْحُسَامِ طَمَعاً فِي الْخَلَاصِ مِنْ رِبْقَةِ جَوْرِ الرُّومِ الَّذِينَ كَانُوا يَسُومُونَهُمْ صُنُوفَ الْخَسْفِ وَالْعَذَابِ لِأَنَّ صِيتَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ قَدْ طَبَّقَ الْآفَاقَ بِمَا سَرَى فِي نُفُوسِهِمْ مِنَ التَّقْوَى وَمُعَامَلَةِ النَّاسِ عَامَّةً بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَلَمَّا اسْتَتَبَّ لَهُ الْحُكْمُ فِي أَرْضِ مِصْرَ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ كِتَاباً يَصِفُهَا بِهِ فَقَالَ

« مِصْرُ تُرْبَةٌ غَبْرَاءُ وَشَجَرَةٌ خَضْرَاءُ طُولُهَا شَهْرٌ وَعَرْضُهَا عَشْرٌ يَكْتَنِفُهَا جَبَلٌ أَغْبَرُ وَرَمْلٌ أَعْفَرُ يَخُطُّ وَسَطَهَا نَهْرٌ مَيْمُونُ الْغَدَوَاتِ مُبَارَكُ الرَّوْحَاتِ يَجْرِى بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ كَجَرْىِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَهُ أَوَانٌ تَظْهَرُ بِهِ عُيُونُ الْأَرْضِ وَيَنَابِيعُهَا حَتَّى إِذَا أُصْلِحَ عَجَاجُهُ وَتَعَظَّمَتْ أَمْوَاجُهُ لَمْ يَكُنْ وُصُولُ بَعْضِ أَهْلِ الْقُرَى إِلَى بَعْضٍ إِلَّا فِي خِفَافِ الْقَوَارِبِ وَصِغَارِ الْمَرَاكِبِ فَإِذَا تَكَامَلَتْ تِلْكَ كَذَلِكَ نَكَصَ عَلَى عَقِبِهِ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي شِدَّتِهِ وَطَمَى فِي حِدَّتِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ الْقَوْمُ لِيَحْرُثُوا بُطُونَ أَوْدِيَتِهِ وَرَوَابِيَهُ يَبْذُرُونَ الْحَبَّ وَيَرْجُونَ الثِّمَارَ مِنَ الرَّبِّ حَتَّى إِذَا أَشْرَقَ وَأَشْرَفَ سَقَاهُ مِنْ فَوْقِهِ النَّدَى وَغَذَاهُ مِنْ تَحْتِهِ الثَّرَى فَعِنْدَ ذَلِكَ يَدُرُّ حِلَابُهُ وَيُغْنِى ذُبَابُهُ فَبَيْنَمَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُرَّةٌ بَيْضَاءُ إِذْ هِيَ عَنْبَرَةٌ سَوْدَاءُ فَإِذَا هِيَ زَبَرْجَدَةٌ خَضْرَاءُ فَتَعَالَى اللهُ

ٱلْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ »

﴿ ٤٩ — وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللّٰهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾

ٱلْأَنْعَامُ جَائِرٌ تُسِيمُونَ ذَرَأَ

مَوَاخِرُ تَمِيدُ جَرَمٌ

« وَٱلْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى ٱللّٰهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ

وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَأَلْقَى فِى ٱلْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ

(القرآن الكريم)

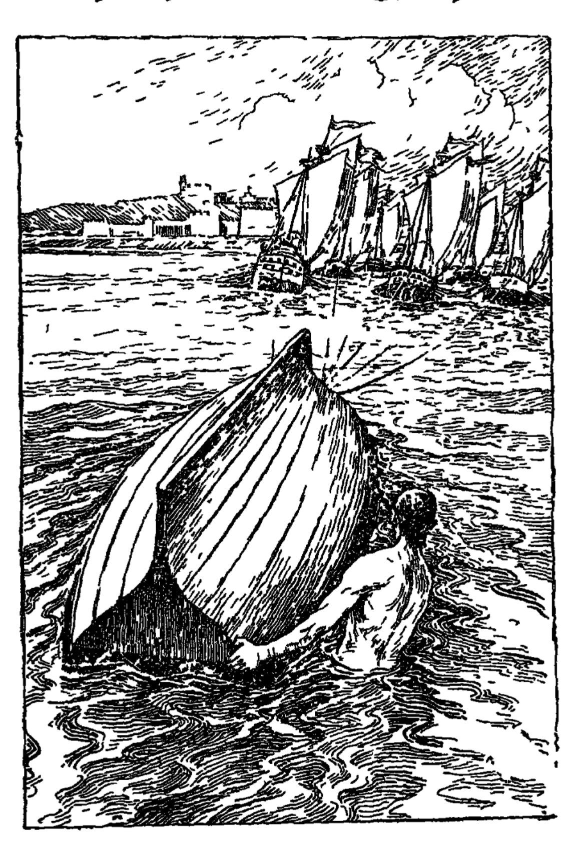
٥٠ — اَلفَرَجُ بَعْدَ اليأْس

لُجَجُ	اَلْهَوَاجِسُ	شَبَحٌ	يَجِيشُ
اَلقنُوطُ	اَللّقى	اَلْمَيْمُونُ	اَلْمَدُّ
اَلْمَخَاضَةُ	قُفُولٌ	اَلْعَرَاءُ	تَرَبَّصَ	اَلْجَذْرُ

خَرَجْتُ يَوْماً لِلنُّزْهَةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فَسَاقَنِي الْقَدَرُ جِهَةَ الشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ وَأَنَا غَارِقٌ فِي لُجَجِ الْهَوَاجِسِ وَالْهُمُومِ وَإِذَا الْبَحْرُ كَأَنَّهُ انْفَلَقَ وَتَجَلَّى عَلَى ظَهْرِهِ شَبَحُ قَارِبٍ مَقْلُوبٍ فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الْخَيَالُ قَدْ لَعِبَ بِبَصَرِي وَجَعَلَهُ يَرَى مَا كَانَ يَجِيشُ فِي خَاطِرِي وَتَصْبُو إِلَيْهِ نَفْسِي وَلَوْ أَنَّهُ لَا وُجُودَ لَهُ لِأَنَّ شِدَّةَ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ حَمَلَتْنِي عَلَى الْجَزْمِ بِأَنَّ تِلْكَ الْأَمْوَاجَ الْقَاسِيَةَ الَّتِي كَانَتِ السَّبَبَ فِي تَعَسِي وَشَقَائِي لَا تَحْمِلُ إِلَيَّ سَفِينَةَ النَّجَاةِ غَيْرَ أَنَّ الْأَمَلَ كَثِيراً مَا تَسَلَّطَ عَلَى النُّفُوسِ الْيَائِسَةِ فَانْتَشَلَهَا مِنْ مَهَاوِي الْقُنُوطِ وَجَاشَ فِي صَدْرِي تِلْكَ السَّاعَةَ ذِكْرَى بِلَادِي

وَزَوْجَتِي وَأَوْلَادِي فَانْتَزَعْتُ ثِيَابِي وَخُضْتُ فِي الْمَاءِ

كَأَنِّي أُسَابِقُ الرِّيحَ وَكُلَّمَا ابْتَعَدْتُ عَنِ الشَّاطِيءِ ازْدَادَ



تَجَسُّمُ الشَّبَحِ وَاقْتِرَابُهُ إِلَى الْحَقِيقَةِ فَيَدْفَعُنِي تَوَقُّعُ الْفَرَجِ إِلَى الْجَزِيِ نَحْوَ ذَلِكَ اللَّقَى الَّذِي لَا يَقُومُ وَأَخِيرًا ازْدَادَ الْبَحْرُ عَنْ قَامَتِي فَاطَّرَحْتُ عَلَى ظُهُورِ الْأَمْوَاجِ أَسْبَحُ بِمَا تَجَدَّدَ فِيَّ مِنْ قُوَّةٍ وَنَشَاطٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْقَارِبِ الْمَيْمُونِ وَدُرْتُ حَوْلَهُ أَخْتَبِرُ مَتَانَتَهُ فَأَلْفَيْتُهُ سَلِيمًا مِنَ الْعَطَبِ فَدَفَعْتُهُ أَمَامِي وَأَنَا سَابِحٌ يُسَاعِدُنِي تَيَّارُ الْمَدِّ بِتَوْفِيقٍ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٍ حَتَّى بَلَغْتُ بَدْءَ الْمَخَاضَةِ فَوَقَفْتُ عَلَى قَدَمَيَّ أُجَدِّدُ الْقُوَّةَ وَالنَّشَاطَ ثُمَّ وَاصَلْتُ السَّيْرَ وَالْقَارِبُ خَلْفِي أَسْحَبُهُ حَتَّى أَحَنَكَ بِقَعْرِ الْبَحْرِ فَتَرَبَّصْتُ أَنْتَظِرُ قُفُولَ الْمِيَاهِ بِالْجَزْرِ فَتَبْقَى سَفِينَتِي بِالْعَرَاءِ وَحِينَئِذٍ يُمْكِنُنِي أَنْ أَسْتَعِينَ بِالْمَلَّاحِينَ وَالْعُمَّالِ فِي جَذْبِهَا إِلَى السَّاحِلِ

(رحلات جلفر)

٥١ - اَلرُّخَامُ

نُصُبٌ	أَنْصَابٌ	اَلْمُوسِرُ	اَلرَّدْهَاتُ
مَقَاطِعُ	اَلنَّاصِعُ	الآكَامُ	اَلأَخَادِيدُ
وَعِرَةٌ	تُعَانِي	وَخَزٌ	مَنَاخِسُ
عِقَابٌ	يَنْسِفُونَ	اَلْبُوقُ	

تُرَى اَلرَّدْهَاتُ فِي جَامِعِ اَلْقَلْعَةِ وَفِي كَثِيرٍ مِنَ اَلْمَسَاجِدِ وَفِي دُورِ اَلْمُوسِرِينَ مُبَلَّطَةً بِحِجَارَةٍ بَيْضَاءَ حَسَنَةِ اَلْمَنْظَرِ وَتُرَى عَلَى سَطْحِهَا عُرُوقٌ بَعْضُهَا مُنْحَنٍ وَالْبَعْضُ مُسْتَقِيمٌ أَوْ مُنْكَسِرٌ

هَذَا اَلْحَجَرُ هُوَ اَلرُّخَامُ وَيُؤْتَى بِأَحْسَنِهِ مِنْ بِلَادِ اَلطِّلْيَانِ الَّتِي فِيهَا أَفْخَرُ كُنُوزِ اَلصَّنَائِعِ اَلرُّخَامِيَّةِ مِنْ أَنْصَابٍ بَدِيعَةٍ رَائِعَةٍ وَنُصُبٍ عَلَى اَلْقُبُورِ فَاخِرَةٍ وَتَمَاثِيلَ مُتْقَنَةٍ تِذْكَاراً لِلْمُلُوكِ وَالأَبْطَالِ وَفُحُولِ اَلشُّعَرَاءِ وَكِبَارِ اَلْعُلَمَاءِ

**** ****



وأكبرُ مقاطِعِ الرُّخامِ الأبيضِ النّاصعِ وأشهرُها مقاطِعُ كرارة الّتي تكتنفُها الآكامُ الرُّخاميةُ من كُلِّ جانبٍ فتُكسبُها جمالا فى منظرِها وتُوجدُ لِأهلِها عملاً يرتزِقون مِنهُ رزقاً حسناً وأكثرُ أهلِ كرارةَ يعملون فى الرُّخامِ بعضُهُمْ يقطعُهُ والبعضُ ينحتُهُ وآخرُون ينقلونهُ على عجلاتٍ ضخمةٍ يجرُّها ثمانيةٌ مِنَ الثيرانِ فأكثرُ على قدرِ ثِقلِ القطعةِ المحمُولةِ وتجرِى

ٱلْعَجلَاتُ فِي أَوْدِيَةٍ كَثِيرَةِ ٱلْأَخَادِيدِ مَمْلُوءَةٍ طُرُقُهَا بِالرِّمَالِ وَٱلْحِجَارَةِ ٱلَّتِي تَجْعَلُهَا وَعِرَةً جِدًّا حَتَّى أَنَّهَا كَثِيرًا مَاتَكُونُ سَبَبًا فِي هَلَاكِ ٱلثِّيرَانِ مِنْ جَهْدِ مَاتعَانيهِ فِي جَرِّ ٱلْعَجَلَاتِ وَمَا تُلَاقِيهِ مِنْ سَائِقِيهَا ٱلْقُسَاةِ ٱلْغِلَاظِ ٱلْقُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَفْتَرُّونَ عَنْ ضَرْبِهَا وَوَخْزِهَا بِمَنَاخِسِهِمُ ٱلضَّخْمَةِ ذَاتِ ٱلْأَسِنَةِ ٱلْحَادَّةِ ٱلَّتِي كَثِيرًا مَا يُدْخِلُونَهَا فِي مَنَاخِرِهَا لِيُكْرِهُوهَا عَلَى ٱلْعَدْوِ حَتَّى فِي عِقَابِ ٱلْآكَامِ وَيَسْمَعُ ٱلصَّاعِدُ عَلَى آكَامِ كَرَارَةَ صَوْتَ ٱلْبُوقِ ٱلَّذِي يُنْذِرُ ٱلْعَمَلَةَ بِقُرْبِ ٱنْفِجَارِ ٱلْبَارُودِ ٱلَّذِي يَنْسِفُونَ بِهِ ٱلصَّخْرَ فَمَتَى انْفَجَرَ رُئِيَتْ قِطَعُ ٱلْأَحْجَارِ تَتَطَايَرُ فِي ٱلْجَوِّ إِلَى عُلُوٍّ عَظِيمٍ

﴿ ٥٢ — وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

بَسْطَةٌ أَمْحَلَ ٱلصُّقْعُ ٱلْقَحْطُ

ٱللَّازِبَةُ ٱلْمَنِيَّةُ ٱلتَّعَفُّفُ ٱلِٱبْتِذَالُ أَتْحَفَ

مِمَّا يُرْوَى لِذَوِي ٱلْأَفْئِدَةِ ٱلْمُسْتَيْقِظَةِ مَا سُمِعَ فِي
حَدِيثٍ عَنْ بَعْضِ عُظَمَاءِ أَهْلِ ٱلْمَغْرِبِ حِينَ تَمَّتْ نِعْمَتُهُ
وَٱتَّسَعَتْ بَسْطَتُهُ وَنَفَذَتْ فِي دَوْلَةِ مَخْدُومِهِ كَلِمَتُهُ أَنَّهُ سُئِلَ
يَوْمًا مَا ٱلَّذِي أَوْصَلَكَ إِلَى ٱلتَّقَرُّبِ مِنَ ٱلْمَلِكِ حَتَّى
أَلْحَقَكَ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ بِخَوَاصِّ أَهْلِهِ فَقَالَ مَا مَعْنَاهُ
إِعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا أَمْحَلَ هٰذَا ٱلصُّقْعُ فِي تِلْكَ ٱلسَّنَةِ ٱلَّتِي
سَمِعْتَ بِهَا فِي عَامِ ٱلْقَحْطِ وَٱضْطَرَبَ ٱلنَّاسُ وَٱشْتَدَّتِ
ٱللَّازِبَةُ وَضَاقَ ٱلْأَمْرُ وَكَثُرَ ٱلْجُوعُ وَٱسْتَوَى فِي ٱلشِّدَّةِ
ٱلْمُقِلُّ وَٱلْمُكْثِرُ وَنَفِدَتْ ذَخَائِرُ ٱلْأَغْنِيَاءِ وَسَحَبَتِ
ٱلْمَنِيَّةُ ذَيْلَ ٱلْهَلَاكِ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ بَقِيتُ أَنَا وَأَهْلِي أَيَّامًا
فِي قَبْضَةِ ٱلْجُوعِ وَٱلْحَاجَةِ وَٱلْقِلَّةِ فَدَعَتِ ٱلضَّرُورَةُ
إِلَى أَنْ أَكْتُبَ إِلَى ٱلْمَلِكِ وُرَيْقَةً لَطِيفَةً وَكَانَ ذَا مَيْلٍ
إِلَى ٱلْفَضْلِ وَرِعَايَةٍ لِأَهْلِ ٱلْعِلْمِ وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَيْهِ وَمِمَّا قُلْتُهُ
إِنَّهُ قَدْ عَرَضَتْ فَاقَةٌ أَنْطَقَتِ ٱلتَّعَفُّفَ عَلَى خِلَافِ ٱلْعَادَةِ

بِالْمَسْأَلَةِ وَأَحْوَجَتْ أَهْلَ الصِّيَانَةِ إِلَى تَحَمُّلِ ذُلِّ الِابْتِذَالِ
وَقَدْ وَقَعَ فِي النَّفْسِ أَنَّ فِي رَأْفَةِ الْمَلِكِ مَا يَكْشِفُ ضُرًّا
وَيَسْتَرِقُّ حُرًّا وَيَسْتَوْجِبُ عَلَى الْأَبَدِ حَمْدًا وَشُكْرًا
وَخَتَمْتُهَا بِقَوْلِي

فَامْنُنْ بِمَا يُغْنِي وَيُثْمِرُ دَائِمًا
حَمْدًا يَدُومُ عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا وَقَعَتْ مِنْهُ بِمَوْقِعٍ فَأَرْسَلَ غُلَامًا
عَلَى يَدِهِ مَا دَفَعَ الْحَاجَةَ فَكَتَبْتُ عَلَى يَدِ الْغُلَامِ كِتَابَ
شُكْرٍ لَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ أَطْرَبَهُ وَقَالَ هَذَا الرَّجُلُ أَهْلٌ
لِلْإِحْسَانِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ هَذَا شُكْرُهُ لِلْقَلِيلِ مِنْ بِرِّنَا
فَكَيْفَ يَكُونُ إِذَا أَتْحَفْنَاهُ بِإِنْعَامِنَا وَأَلْحَقْنَاهُ بِخَوَاصِّنَا
فَاسْتَدْعَانِي وَخَصَّنِي بِلَطَائِفِ بِرِّهِ وَفَعَلَ بِي مَا رَأَيْتَ
بَعْضَ أَثَرِهِ فَبَذَلْتُ لَهُ مَا فِي وُسْعِي وَجُهْدِي مِنْ مُنَاصَحَةٍ
وَحَمْدٍ وَشُكْرٍ وَخِدْمَةٍ وَحَدِيرٌ بِمَنْ يَشْكُرُ أَنْ يَشْمَلَهُ

ٱلْمَزِيدَ فَإِنَّ رَبَّ ٱلْعِزَّةِ جلتْ قدرتُهُ مع ٱستغنائِهِ عَنِ ٱلْعَالَمِ وَلَا ينتفعُ بكثرة شكرِهِمْ وَلَا يضرُّهُ زِيَادَةُ كُفْرِهِمْ قَدْ بَذَلَ ٱلْمَزِيد لِمَنْ شَكَرَ وأعدَّ العَذَابَ ٱلشَّدِيدَ لِمَنْ كفرَ فقالَ تعالَى « وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ولئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عذابِي لشَدِيدٌ » فَمَا ظَنُّكَ بِٱلْإِنسانِ ٱلَّذِي يستميلهُ نشرُ ٱلشُّكرِ ويُطرِبُهُ ذِكْرُ ٱلْحَمْدِ

(العقد الفريد للملك السعيد)

﴿ ٥٣ — ٱلْحِزْبُ ﴾

حُشِدَ	كتائِبُ	ٱلسَّوَارِى	رَهْطٌ
أَبَاطِحُ	قسطَلٌ	ٱلسَّرَابُ	ثَاكِلٌ
عُبَابٌ	ٱللُّغُوبُ	مُهَيْنَمٌ	هَامَةٌ
تَرَنَّحَ	نَشْوَانُ	ٱلطَّلَى	ثَاكِلٌ

وَمَوَاكِبٌ كَالسَّيْلِ أَوْ كَاللَّيْلِ قَدْ
حُشِدَتْ بِسهْلٍ حَوْلَهُ هضبَاتُ
وكَتَائِبٌ كَبَوَارِجٍ أَعْلَامُهَا
عَمَدُ السَّوَارِى وَالْقنَا الْمِزْسَاةُ
سَالَتْ بِكَثْرَتِهَا الْأَبَاطِحُ مِثْلَمَا
سَالَتْ بِرَهْطِ حَجِيجِهَا عَرَفَاتُ
أَصْوَاتُهَا رَعْدٌ وَلَمْعُ نِصَالِهَا
بَرْقٌ وَقَسْطَلُ جَوِّهَا ظُلُمَاتُ
وَالْبَرُّ بَحْرٌ وَالسَّرَابُ عُبَابُهُ
وَالرَّكْبُ سُفُنٌ وَالرُّبَى مَوْجَاتُ
أَمسَتْ فَغَيَّبَهَا الظَّلَامُ بِجَوْفِهِ
وَبَدَا سُكُونٌ طَيَّهُ حَرَكَاتُ
أَلْقَى اللُّغُوبُ عَلَى الصَّعِيدِ هيَاكِلًا
قَدْ كَهْرَبَتْهَا بِالْكَرَى نَسَمَاتُ

حَتَّى إِذَا نَصَبَ ٱلصَّبَاحُ عَمُودَهُ
وَٱللَّيْلَ شَقَّتْ حُجْبَهُ لَمَعَاتُ

هَوَتِ ٱلرِّجَالُ عَلَى ٱلرِّجَالِ كَأَنَّهُمْ
قُلَلُ ٱلْجِبَالِ مُتُونُهَا ٱلصَّهَوَاتُ

وَتَعَانَقَتْ فَوْقَ ٱلسَّوَاعِدِ بِيضُهُمْ
تَحْتَ ٱلْعَرَاءِ كَأَنَّهَا غَادَاتُ

وَتَرَنَّحَتْ سُمْرُ ٱلْقَنَا نَشْوَانَةً
بِدَمِ ٱلطُّلَى فَتَزَحْزَحَتْ هَامَاتُ

وَتَطَايَرَتْ نَحْوَ ٱلْفَضَاءِ كَأَنَّهَا
شُهُبٌ وَضَوْضَاءُ ٱلْوَغَى صَعَقَاتُ

وَتَبَعْثَرَتْ فَوْقَ ٱلْوِهَادِ فَرَائِسٌ
عَلِقَتْ عَلَيْهَا أَنْسُرٌ وَبُزَاةُ

فَٱلْأُسْدُ تُولِمُ وَٱلْجَوَارِحُ تَغْتَذِي
وَٱلْأَرْضُ تَحْيَا وَٱلْوَرَى أَمْوَاتُ

وَٱلْجَهْلُ يَسْخَرُ وَٱلصَّوَابُ مُهَيَّمٌ
وَٱلْجُنْدُ تُنْهَرُ وَٱلْمُلُوكُ غُفَاةُ
وَٱلْعَقْلُ يَبْكِي وَٱلطَّبِيعَةُ ثَاكِلٌ
وَٱلدَّهْرُ يَضْحَكُ وَٱلرَّدَى شَمَّاتُ
سُبْحَانَ مَنْ تَخِذَ ٱلْعَوَالِمَ مُصْحَفًا
فِيهِ لِكُلِّ غَرِيبَةٍ آيَاتُ

(سليم عنحوري)

✱ ٥٤ — ٱلتَّاجُ مَحَلْ ✱

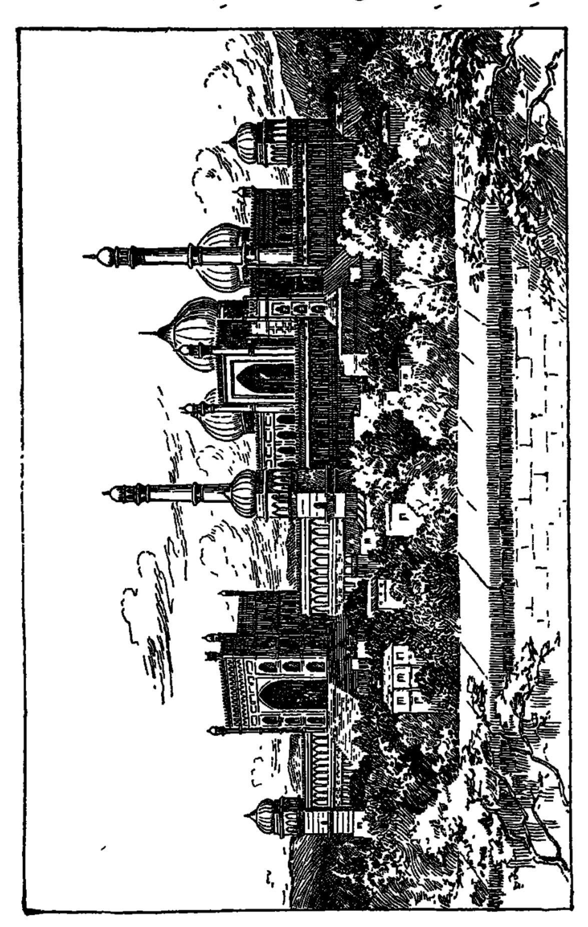
جَحْفَلٌ ٱلصَّارِمُ ٱلْأَفْيَالُ عَاهِلٌ
جَدَثٌ بَاسِقٌ رِتَاجٌ طَاقٌ
عَرْفٌ دِحَالٌ مَسْلُوفَةٌ ٱلرَّائِدُ
رَذَاذٌ مَشَاكٍ تَتَوَهَّجُ ٱلْمُشَاكَلَةُ مَقْصُورَةٌ

قُرْبَ بَدَاءَةِ ٱلْقَرْنِ ٱلسَّابِعَ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ أَغَارَ جَحْفَلٌ مِنْ مُسْلِمِي ٱلْمُغُولِ عَلَى ٱلشَّمَالِ ٱلشَّرْقِيِّ لِلْهِنْدِ

وافتتحوه عنوة بحد الصارم البتار ثم امتد سلطانهم على سائر البلاد الهندية العليا وأقاموا الوزن بين الناس بالقسط فغزوا النفوس بعدالتهم كما انفتحت لقوتهم الحصون والقلاع وتسابق الأقيال والأمراء يخضعون لسلطان الحق الذي مد ظله الوارف أكبرخان حتى أضحى عاهل البلاد الهندية بأسرها .

ولقد اشتهر جيهان شاه من بين هؤلاء العواهل بشدة تعلقه بعقيلته التي قضت نحبها وهي في نضرة الشباب سنة ١٣٦١ فبلغ منه الأسى مبلغا استنفد الصبر وعز عليه السلوان وقضى حياته وصرف همه في تمجيد اسمها وتخليد ذكرها فرفع على جدثها الهامد مقبرة تزرى بباسق القصور وأرسل وفوده تجوب الآفاق في طلب أبرع الصناع حتى جمع لديه عشرين ألف صانع اشتغلوا اثنتين وعشرين سنة وأنفق في

تَشْيِيدِهَا مَا يُنِيفُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَلَايِينَ مِنَ الْجُنَيْهَاتِ

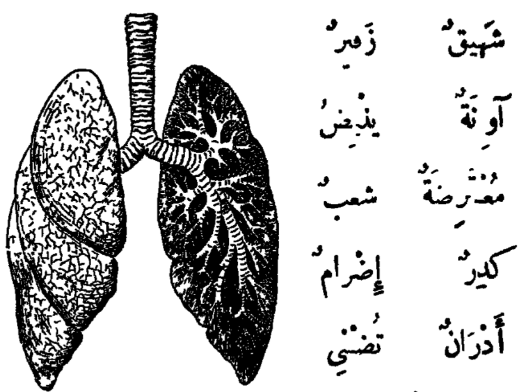


يُدْخَلُ إِلَى هَذِهِ ٱلْمَقْبُرَةِ بَلْ هَذَا ٱلْقَصْرِ مِنْ رِتَاجٍ ضَخْمٍ شَامِخِ ٱلْبُنْيَانِ مِنَ ٱلْحَجَرِ ٱلْأَحْمَرِ ٱلْمُرَصَّعِ بِٱلرُّخَامِ ٱلْأَبْيَضِ وَٱلْأَسْوَدِ وَفِي وَسَطِهِ طَاقٌ مَعْقُودٌ يَزِيدُهُ فَخَامَةً وَرُوَاءً وَفِي دَاخِلِ سُورِهِ ٱلْعَالِي ٱلْبِنَاءِ بُسْتَانٌ فَسِيحُ ٱلْأَرْجَاءِ قَدْ زَانَتْهُ ٱلْأَزْهَارُ وَٱلرَّيَاحِينُ بِبَاهِرِ أَلْوَانِهَا وَعَطَّرَتْهُ بِعَبِيقِ عَرْفِهَا وَتَبْلُغُ دِحَالُهُ ٱلشَّاهِقَةُ إِلَى عَنَانِ ٱلسَّمَاءِ. وَأَفْنَانُهَا مُتَشَبِّكَةٌ مُتَعَانِقَةٌ كَأَنَّهَا رَمْزٌ لِذَلِكَ ٱلْحُبِّ ٱلطَّاهِرِ وَٱلْوَفَاءِ ٱلصَّمِيمِ وَهِيَ مَنْظُومَةٌ فِي صَفَّيْنِ عَلَى جَانِبَيْ طَرِيقٍ مَسْلُوفَةٍ وَأَمَامَهَا عِقْدُ فَوَّارَاتٍ تَسْتَرْعِي ٱلرَّائِدَ بِخَرِيرِهَا وَتُنَدِّيهِ بِرَذَاذِهَا وَٱلْبَبْغَاوَاتُ ٱلْخَضْرَاءُ تُمَازِجُهُ وَتُؤَانِسُهُ بِحَدِيثِهَا حَتَّى يَبْلُغَ ٱلْحَائِطَ ٱلدَّاخِلِيَّ وَهُوَ مَنْقُوشٌ بِصُوَرِ أَزْهَارٍ قَدْ طُعِمَتْ بِٱلْمَرْمَرِ ٱلنَّاصِعِ وَفِيهِ مَشَاكٌ تَبْنِي فِيهَا ٱلْبَبْغَاوَاتُ عُشُشَهَا وَفَوْقَ هَذَا ٱلْحَائِطِ قَدْ فُرِشَ رَصِيفٌ مِنَ ٱلرُّخَامِ يُصْعَدُ إِلَيْهِ فِي سُلَّمٍ مِنَ

ٱلْمَرْمَرِ وَفِي طَرَفَيِ ٱلرَّصِيفِ مَسْجِدَانِ شَاهِقَانِ مِنَ ٱلْحَجَرِ ٱلْأَحْمَرِ ٱلْمُرَصَّعِ بِٱلرُّخَامِ ٱلْأَبْيَضِ وَٱلْأَسْوَدِ لِكُلٍّ مِنْهُمَا ثَلَاثُ قِبَابٍ مِنَ ٱلْمَرْمَرِ تَتَوَهَّجُ فِي ضَوْءِ ٱلشَّمْسِ كَأَنَّهَا قَنَادِيلُ عَظِيمَةٌ مُضِيئَةٌ إِلَّا أَنَّ أَحَدَ ٱلْمَسْجِدَيْنِ لَيْسَ مُسْتَعْمَلًا لِٱنْحِرَافِهِ عَنِ ٱلْقِبْلَةِ وَبُنِيَ عَلَى سَبِيلِ ٱلْمُشَاكَلَةِ فَقَطْ

وَفِي وَسَطِ هَذَا ٱلرَّصِيفِ رَصِيفٌ ثَانٍ أَعْلَى مِنْهُ قَدْ أُقِيمَتْ أَرْبَعُ مِئْذَنَاتٍ عَلَى أَرْكَانِهِ ٱلْأَرْبَعَةِ وَفِي وَسَطِهِ قُبَّةٌ بَاسِقَةٌ وَاسِعَةٌ تُحِيطُ بِهَا أَرْبَعُ قِبَابٍ صَغِيرَةٍ وَبَابُهُ طَاقٌ عَالٍ مَنْقُوشٌ بِضُرُوبِ ٱلزُّخْرُفِ وَفُنُونِ ٱلْحِلْيَةِ وَأَرْضُ ٱلْقُبَّةِ مِنَ ٱلْفُسَيْفِسَاءِ ٱلْمَنْقُوشَةِ بِأَشْكَالٍ عَرَبِيَّةٍ وَعَلَى جُدُرِهَا آيَاتٌ مِنَ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ مَكْتُوبَةٌ بِٱلذَّهَبِ ٱلْإِبْرِيزِ وَفِي وَسَطِ أَرْضِ ٱلْقُبَّةِ مَقْصُورَةٌ فِيهَا ٱلتَّابُوتُ تُحْفَةُ ٱلْمَهَابَةِ وَٱلْكَرَامَةِ ٱللَّتَانِ نَسَجَتْهُمَا يَدُ ٱلْمَحَبَّةِ وَٱلْوَفَاءِ

﴿ ٥٥ - مِنفاخ الجِسْمِ ﴾



شَهِيقٌ زَفِيرٌ

آوِنَةٌ يَنْبِضُ

مُعْتَرِضَةٌ شعبٌ

كَدِرٌ إِضْرامٌ

أَدْرَانٌ تُضْنِي

يَنْبَسِطُ الصَّدْرُ وَيَنْقَبِضُ أَمَامَ عَيْنِ الرَّائِي مِنَ التَّنَفُّسِ شَهِيقِهِ وَزَفِيرِهِ كَمَا يَنْبَسِطُ الْمِنْفَاخُ وينقَبِضُ فَيَمْتَلِئُ آوِنَةً مِنَ الْهَوَاءِ الدَّاخِلِ فيهِ وَيَخْلُو أُخْرَى بِخُرُوجِهِ مِنْهُ وتَسْتَمِرُّ وَتَتَوَاصَلُ هَاتَانِ الْحَرَكَتَانِ مَادَام فِي الْإِنْسَانِ عِرْقٌ يَنْبِضُ

وَلَيْسَ الْمِنْفَاخُ فِي هَيْئَتِهِ إِلَّا مُمَثِّلًا مَا فِي الْجِسْمِ مِنَ الْأَعْضَاءِ الْمَخْلُوقَةِ لِلتَّنَفُّسِ فَإِنَّ فَمَهُ وأُنْبُوبَتَهُ يُمَثِّلَانِ

ٱلْأَنْفَ وَقَصَبَةَ ٱلنَّفَسِ ٱلظَّاهِرَةَ فِي ٱلْعُنُقِ وَجِسْمَهُ يُشَابِهُ
ٱلرِّئَتَيْنِ ٱلْمَنْصُوبَتَيْنِ فِي وَسَطِ ٱلصَّدْرِ ٱلَّذِي هُوَ عُلْبَةٌ
مِنْ قُضْبَانٍ مِنَ ٱلْعِظَامِ ٱسْمُهَا ٱلضُّلُوعُ بَيْنَهَا عَضَلَاتٌ
مَتِينَةٌ مُعْتَرِضَةٌ هِيَ آلَةُ ذَلِكَ ٱلْاِنْبِسَاطِ وَٱلْاِنْقِبَاضِ
وَتَتَفَرَّعُ قَصَبَةُ ٱلنَّفَسِ فِي وَسَطِ ٱلصَّدْرِ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى
فَرْعَيْنِ يَخْرُجُ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا شُعَبٌ وَأَنَابِيبُ لَا يُحْصِيهَا
إِلَّا ٱللهُ وَهِيَ مَحُوطَةٌ بِكِيسَيْنِ مِنْ غِشَاءٍ فِي جَانِبَيِ ٱلصَّدْرِ
يَمْنَةً وَيَسْرَةً هُمَا ٱلرِّئَتَانِ وَفِي خِلَالِ هَذِهِ ٱلْأَنَابِيبِ
تَدْخُلُ ٱلْعُرُوقُ ٱلدَّقِيقَةُ بَعْضُهَا يَحْمِلُ دَمًا كَدِرًا يَمْتَزِجُ
بِٱلْهَوَاءِ فَيَتَخَلَّصُ مِمَّا عَرَاهُ مِنْ دَوَاعِي ٱلْفَسَادِ وَيَعُودُ فِي
عُرُوقٍ أُخَرَ أَحْمَرَ صَافِيَ ٱلْحُمْرَةِ فَيَنْزِلُ فِي ٱلْقَلْبِ لِيُوَزِّعَهُ
عَلَى ٱلْجِسْمِ وَكُلَّمَا كَثُرَ ٱلْهَوَاءُ ٱلدَّاخِلُ بِٱسْتِطَالَةِ ٱلنَّفَسِ
كَانَ ٱلدَّمُ أَكْثَرَ صَفَاءً وَصِحَّةً وَلَا يَسْتَغْرِبَنَّ أَحَدٌ مِنْ
أَنَّ فِي ٱلْجِسْمِ آلَةً كَالْمِنْفَاخِ فِي هَيْئَتِهِ فَإِنَّ هَذِهِ ٱلْآلَةَ

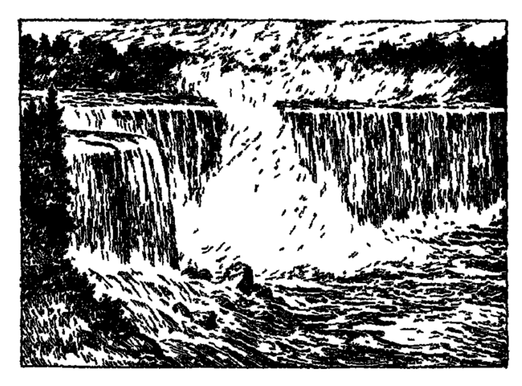
تَعمَلُ فِيهِ مايعمَلُ ٱلْمِنفاخُ فى إِضْرَامِ ٱلنَّارِ ٱلَّتى تُحْرِقُ ٱلوَقُودَ وَتَحتَاجُ لِذَلِكَ إِلَى ٱلْهَوَاء وَلَوْلَا هذا ٱلضِّرَامُ فِي سائِرِ ٱلْبَدَنِ لَعَدِمَ حَرَارَتَهُ ولَأَصْبَحَ جُثَّةً بارِدَةً هامِدَةً

وَقَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ فِي ٱلأَنْفِ غُدَّةً تُدفِىءُ ٱلْهَوَاءَ وَتُنَقِّيهِ مِمَّا يَشُوبُهُ مِنَ ٱلْغُبَارِ وَٱلْأَدْرَانِ حَتَّى يَدْخُلَ ٱلرِّئَتَيْنِ خالِصاً سَلِيمًا يَجْنِي مِنْهُ ٱلدَّمُ وَٱلْجِسْمُ ٱلْخَيْرَ ٱلْجَزِيلَ وَلِذَلِكَ كَانَ فِي ٱلتَّنَفُّسِ بِٱلْفَمِ مَضَرَّةٌ تُسْقِمُ ٱلْجِسْمَ وَتُضْنِيهِ فَحَذَارِ مِنْ ذَلِكَ ٱلْخَطَرِ ٱلْعَظِيمِ

﴿ ٥٦ — جَنَادِلُ نِيَكَرَا ﴾

جَعْفَرٌ	يَتَعَرَّجُ	صَلَادَةٌ	ٱلْجَنادِلُ
يُرْغِي	يُزْبِدُ	ٱلطَّامَةُ	تِلْقَاءَ
ٱلرَّائِعُ	رَشَاشٌ	ٱلصَّيِّبُ	ٱلْمِدْرَارُ
ٱلْمِرْجَلُ	باسِقَةٌ	ٱلْكَئُودُ	حُطَامٌ

يَجْرِي فِي أَوَاسِطِ أَمْرِيقَا ٱلشَّمَالِيَّةِ جَعْفَرٌ عَظِيمٌ



السَّعَةِ يَتَعَرَّجُ في سَبِيلِهِ وَيَنْحَنِي وَيَنْثَنِي مُتَخَيِّراً سَهْلَ
الْبِقَاعِ فَيَتَدَفَّقُ فِيهَا وَيَشُقُّ نَهْرَهُ يُوَسِّعُهُ وَيُضَيِّقُهُ عَلَى
قدر الْمُقَاومة الَّتي يلقاها بَيْنَ صَلَابة الْأَرْضِ ورخاوتها
وَصلادة الصُّخُور وليِنِهَا ثُمَّ يَنْفَسِحُ إِلَى بُحَيْرَاتٍ خَمْسٍ
أُولاها عَلَى هَضْبَةٍ شَاهِقَةٍ يَنْهَارُ مَاؤُهَا على ما بَعْدَهَا خِلَالَ
الصخور و الْجَنَادِلِ فيدوي وَيُرْغِي وَيُزْبِدُ حَتَّى يَبْلُغَ
الْبحيرة الرَّابعة وَهِيَ أيرى وهُنَاكَ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى
إِذْ يَهْوِي الْمَاءُ هَوِيّاً رَأْسِيّاً مَسافَة ثلثمائة قدم بَيْنَ الْحَجَرِ

**** ***

الْجُلْمُودِ وَهُوَ يَتَدَافَعُ وَيَتَخَبَّطُ وَيَتَرَامَى حَتَّى يَصِلَ إِلَى أُنْتَرْيُو خَامِسَةِ الْبُحَيْرَاتِ

وَإِنَّ الشَّاهِدَ لَيَدْهَشُ تِلْقَاءَ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ الرَّائِعِ إِذْ يَرَى الْمِيَاهَ فِي فَرٍّ وَكَرٍّ وَكِفَاحٍ وَنِزَالٍ وَصِرَاعٍ وَرَشَاشُهَا يَتَصَاعَدُ فِي الْجَوِّ فَيُلَاطِمُ كَبِدَ السَّمَاءِ وَيَهْوِي ثَانِيَةً كَأَنَّهُ الصَّيِّبُ الْمِدْرَارُ وَالزَّبَدُ يَتَلَاقَى وَيَتَجَمَّعُ فَيُكَوِّنُ رُكَامًا أَبْيَضَ وَأَشِعَّةُ الشَّمْسِ تَخْتَلِطُ بِهَذَا الْمِرْجَلِ الْفَائِرِ الثَّائِرِ فَتَنْحَلُّ أَلْوَانًا مُتَبَايِنَةً مُتَعَدِّدَةً تَكَادُ تَبْلُغُ مَبْلَغَ السِّحْرِ فِي تَأْثِيرِهَا فِي النُّفُوسِ وَأَخْذِهَا بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ وَتَخْتَرِقُ هَذِهِ الْجَنَادِلَ مِنْ وَسَطِهَا جَزِيرَةٌ خَضْرَاءُ بَاسِقَةُ الْأَشْجَارِ تَقْسِمُهَا إِلَى جَنْدَلَيْنِ مُنْفَصِلَيْنِ أَحَدُهُمَا فِي كَنَدَا وَالثَّانِي فِي الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَيَتَعَذَّرُ عَلَى السُّفُنِ مَهْمَا بَلَغَتْ مِنْ مَتَانَةِ الصُّنْعِ أَنْ تَقْتَحِمَ هَذِهِ الْعَقَبَةَ الْكَئُودَ بَلْ تُصْبِحُ حُطَامًا فِي أَقَلَّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ

وَلَكِنْ رَغْمَ الْعِلْمِ الْجَازِمِ بِهَذِهِ النَّتِيجَةِ الْعَظِيمَةِ لَمْ تَخْلُ الْأَرْضُ مِنْ مُتَسَفِّينَ اقْتَحَمُوا تِلْكَ الْعَقَبَةَ الْفَاتِكَةَ يُحَاوِلُونَ اجْتِيَازَهَا فَمَا قَضَوْا مِنْهَا وَطَرَهُمْ بَلْ قَضَتْ عَلَى حَيَاتِهِمْ بِمَا كَانُوا يُخَاطِرُونَ

﴿ ٥٧ — مَنْظَرُ بُسْتَانٍ ﴾

أَرِيجٌ	الضَّوَاحِي	تَسْجَعُ	تُطَرِّبُ
وَفْرَةٌ	تَسْتَفِزُّ	اِسْتِيعَابٌ	مُوَّهٌ
يَطَأُ	لَأْلَاءٌ	الْحَصْبَاءُ	أَفْنَانٌ
أَدِيمٌ	كَاسِفٌ	تِيهٌ	



لم أر في الحياة منظراً أبهى وأجمل من حديقة غناء يتراوح فيها الغصن على الغصن ويميل وتنتشر الروائح الزكية من أزهارها البهية فتحملها الريح على أجنحتها الخفية وتعطر بأريجها الهواء العليل وتضم في ضواحيها آيات الجمال فتقر بها العيون وتستقر لما يجتذبها من زاهي اللون وبديع التنسيق وتسجع البلابل وتطرب الأطيار وهي قائمة على الأغصان متوارية عن العيان في خلال الأوراق فتهتز لسماعها القلوب وتشنف الآذان وتتدلى الفواكه والأثمار على اختلاف أشكالها ووفرة ضروبها وتتدانى من أيدي القاطفين كأنها تستفزهم إلى استيعابها بالأيدي كما متعوا منها الأنظار والماء يجري في شقوقه وجداوله كأنه أسلاك صيغت من صافي اللجين إذا نزلت عليه أشعة الشمس موهته بالذهب فيمثل الجوهرين الكريمين في صفائه ولألائه

يَطَأُ السَّائِرُ فِي هَذَا ٱلْبُسْتَانِ طَرِيقًا مَرْصُوفَةً بِالْحَصْبَاءِ مَحْفُوفَةً مِنْ جَانِبَيْهَا بِأَشْجَارٍ اشْتَبَكَتْ أَفْنَانُهَا كَأَنَّهَا ٱلْقِبَابُ ٱلْمَضْرُوبَةُ وَضَوْءُ ٱلشَّمْسِ يَسْتَرِقُ فُرْجَةً بَيْنَ ٱلْأَوْرَاقِ يَتَدَلَّى مِنْهَا إِلَى ٱلثَّرَى لِيُقَبِّلَهُ فَتَضِنُّ عَلَيْهِ ٱلْأَوْرَاقُ وَتَقْطَعُ ٱلسَّبِيلَ فَيَسْلُكُ طَرِيقًا أُخْرَى تُوصِلُهُ إِلَى ٱلْأَدِيمِ فَتَسُدُّ عَلَيْهِ هَذِهِ أَيْضًا فَيَكْشِفُ غَيْرَهَا فَيَنْزِلُ مِنْهَا وَهَكَذَا تَبْقَى ٱلْأَشِعَّةُ فِي غُدُوٍّ وَرَوَاحٍ وَٱلْوَرَقُ يُطَارِدُهَا وَيُمَانِعُهَا حَتَّى يَحْمَرَّ وَجْهُ ٱلسَّمَاءِ بِٱقْتِرَابِ ٱلْغُرُوبِ فَيَرْتَدَّ ضَوْءُ ٱلشَّمْسِ كَاسِفًا مَحْزُونًا وَيَبْقَى ٱلْوَرَقُ يَتَلَاعَبُ زَهْوًا وَتِيهًا بِانْتِصَارِهِ وَظَفَرِهِ

﴿ ٥٨ — حُكُومَةُ ٱلْجِسْمِ ﴾

اَلْقِسْطُ	مُتَنَافِرَةٌ	مُتَكَاثِفَةٌ
يَصْدَعُ	تَصْرِيفٌ	يَنِي
مَأْزِقٌ	اَلزَّلَلُ	يُضْرِمُ

مُتَعَامِدَةٌ — اَلزِّمَامُ — تَتَحَفَّزُ

كُلَّمَا ٱسْتَقَرَّ قَوْمٌ مِنَ النَّاسِ فِي مَكَانٍ مُجْتَمِعِينَ قَامَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ يَتَوَلَّوْنَ أُمُورَهُمْ وَتَأْمِينَ أَنْفُسِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَيَقُومُونَ عَلَيْهِمْ بِالْقِسْطِ فِي مُخَاصَمَاتِهِمْ لِيُؤَلِّفُوا بَيْنَ قُلُوبٍ كَانَتْ شَتَّى مُتَنَافِرَةً فَأَصْبَحَتْ بِقُوَّةِ الْعَدْلِ وَالسَّهَرِ عَلَيْهَا مُتَكَاتِفَةً مُتَعَامِدَةً كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا

وَلَا بُدَّ لِهَذِهِ ٱلْحُكُومَةِ مِنْ رَأْسٍ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ وَأَعْضَاءٍ مُتَنَوِّعَةٍ يَخْتَصُّ كُلٌّ مِنْهَا بِعَمَلٍ مُفْرَدٍ يَقُومُ بِتَنْفِيذِهِ مُسْتَمِدًّا سُلْطَانَهُ مِنْ ذَلِكَ الرَّأْسِ يُبْلِغُهُ ٱلْحَوَادِثَ عِنْدَ وُقُوعِهَا وَيَصْدَعُ بِأَمْرِهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَمِنَ ٱلْأَعْضَاءِ مَا قَدْ شُرِعَ لَهُ شَرْعٌ يَتْبَعُهُ فِي أَعْمَالِهِ فَيَعْمَلُ

وَلَا يَنِي حرًّا مُسْتَقِلاً مَالَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ الْخَلَلُ فَيَقِفَ عَنِ
الْعَمَلِ حَتَّى يُصْلَحَ مِنْهُ مَافَسَدَ وَمَا الْجِسْمُ الْبَشَرِيُّ إِلاَّ
حُكُومَةٌ أَحْكَمَ نَظْمَهَا الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ فَوَلَّى عَلَيْهَا
الرَّأْسَ بِرُوحٍ مِنْ عِنْدِهِ وَأَوْدَعَ فِيهِ الْعَقْلَ وَمَلَّكَهُ الزِّمَامَ
ثُمَّ جَعَلَ فِي الْجِسْمِ عَضَلاَتٍ عَامِلاَتٍ بِأَمْرِهِ وَأُخَرَ
مُسْتَقِلاَّتٍ عَنْ إِرَادَتِهِ عَامِلاَتٍ عَلَى نِظَامٍ ثَابِتٍ لَا تَفْتُرُ
عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ مَا دَامَتْ بَعِيدَةً عَنْ مَآزِقِ الزَّلَلِ
وَالسَّرَفِ وَإِلاَّ اعْتَرَاهَا فَسَادٌ قَدْ يَصْرِمُ حَبْلَ الْحَيَاةِ مَالَمْ
يَتَوَلَّهَا الْإِنْسَانُ بِالرِّيَاضَةِ وَالْعِلَاجِ وَتِلْكَ الْأَعْضَاءُ
الْمُسْتَقِلَّةُ هِيَ أَجْهِزَةُ الدَّمِ وَالتَّنَفُّسِ وَالْهَضْمِ وَسَائِرُ
الْأَحْشَاءِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّأْسِ أَسْلَاكٌ تِلِغْرَافِيَّةٌ مِنَ
الْأَعْصَابِ تَحْمِلُ إِلَيْهِ خَبَرَ مَايُؤْلِمُهَا أَوْ يُصِيبُهَا مِنَ الْآفَاتِ
لِكَيْمَا يَصْرِفُ عَنْهَا الْأَذَى بِعَقْلِهِ وَحِكْمَتِهِ

وَبَقِيَّةُ الْأَعْضَاءِ تَعْمَلُ بِإِرَادَةِ الرَّأْسِ وَأَمْرِهِ فَإِذَا

شاءَ ٱلإِنسانُ ٱلمَشْيَ أَصْدَرَ ٱلرَّأْسُ أَمْرًا إِلَى ٱلرِّجْلَيْنِ فَتَحْمِلُهُ أَعْصابُ ٱلحَرَكَةِ بِسُرْعَةِ ٱلبَرْقِ أَوْ أَشَدَّ سُرْعَةً فَتَتَحَفَّزانِ لِلحَرَكَةِ وَتَسِيرانِ بِٱلجِسْمِ طائِعَتَيْنِ وَإِذا أَصابَ ٱليَدَ أَوْ عُضْوًا غَيْرَها أَلَمٌ أَرْسَلَتْ شَكْواها خِلالَ ٱلأَعْصابِ فَيَأْمُرُ ٱلرَّأْسُ بِٱنْسِحابِها إِلَى مَأْمَنٍ أَوْ إِقْدامِها لِكَفِّ ٱلأَذَى أَوِ ٱلتَّنْكِيلِ بِٱلمُعْتَدِي جَزاءَ ٱعْتِدائِهِ « فَسُبْحانَ ٱلَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى »

٥٩ — أَهْلُ لابْلَنْدَ

جِيلٌ	جَرْداءُ	آجامٌ	زِرابٌ
تَبْتَلُّ	حَمُولَةٌ	يَحْتَذِي	ٱلبَشَرَةُ
وَجَناتٌ	زُرافاتٌ	يَنْتَجِعُ	قارِسٌ
كُوَّةٌ	قِتارٌ	مُتَقَبِّضٌ	ضَنٌّ
ٱلجَمْدُ	مُرْدِي		

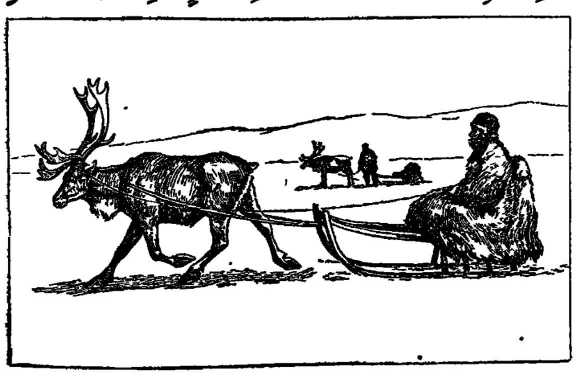


يَعيشُ جيلٌ مِنَ ٱلنَّاسِ فِي شَمَالِ ٱلسُّوَيْدِ وَرُوسِيَا بِلادُهُمْ جَرْدَاءُ قَاحِلَةٌ مَا خَلا بِضعَ آجَامٍ مُنْتَشِرَةٍ يَتَّخِذُونَ مِنْ غُصُونِهَا وَجُذُوعِهَا زِرَابًا يَسْكُنُونَهَا أَيَّامَ شِتَائِهِمُ ٱلطَّوِيلِ وَلَا يُؤَانِسُهُمْ فِي وَحْشَتِهِمْ إِلَّا كِلابُهُمْ وَشِبهُ أَيْئَلٍ كَبِيرُ ٱلْجُثَّةِ يَسْتَخْدِمُونَهُ حَمُولَةً لَهُمْ وَيَغتَذُونَ بِلَحْمِهِ وَلَبَنِهِ وَيَحْتَذُونَ بِجِلْدِهِ وَيُشَارِكُهُمْ فِي تَمَلُّكِ هَذِهِ ٱلْقِفَارِ ٱلدِّبَبَةُ وَٱلذِّئَابُ ٱلثَّلْجِيَّةُ وَغَيْرُهَا مِنْ صُنُوفِ حَيَوَانِ ٱلْفِرَاءِ

وَهٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمُ قِصَارُ ٱلْقَامَةِ ثِقَالُ ٱلْجِسْمِ سُمْرُ ٱلْبَشَرَةِ وَجِنَاتُهُمْ بَارِزَةٌ وَعُيُونُهُمْ مُسْتَطِيلَةٌ ضَيِّقَةٌ وَأَفْوَاهُهُمْ وَاسِعَةٌ بِشِفَاهٍ دَقِيقَةٍ وَأُنُوفُهُمْ قَصِيرَةٌ غَلِيظَةٌ فَكَأَنَّهُمْ جَمَعُوا كُلَّ أَوْصَافِ ٱلدَّمَامَةِ فِي ٱلْخِلْقَةِ

وَيَعِيشُونَ قَبَائِلَ وَزَرَافَاتٍ وَيَنْتَجِعُونَ بِكِلَابِهِمْ وَقُطْعَانِهِمْ إِلَى حَيْثُ رَاقَ لَهُمُ ٱلْمَرْعَى وَكَثُرَتِ ٱلْأَسْمَاكُ فِي ٱلصَّيْفِ وَيَتَوَغَّلُونَ فِي ٱلْآجَامِ فِي ٱلشِّتَاءِ يَمْتَنِعُونَ مِنْ قَرِّ ٱلْجَوِّ وَقَارِسِ ٱلْبَرْدِ وَبُيُوتُهُمْ زِرَابٌ مِنْ غُصُونِ ٱلْأَشْجَارِ يَكْسُونَهَا بِٱلْجُلُودِ وَٱلْأَصْوَافِ وَلَا يَتَّخِذُونَ مِنَ ٱلنَّوَافِذِ إِلَّا كُوَّةً فِي سَقْفِ ٱلْبَيْتِ يَصْعَدُ مِنْهَا دُخَانُ نَارِهِمْ وَقُتَارُ طَعَامِهِمْ وَيَجْلِسُونَ وَيَنَامُونَ مُتَقَبِّضِينَ عَلَى فُرُشٍ مِنَ ٱلْجُلُودِ وَٱلْفِرَاءِ وَيَخْزُنُونَ مَا ٱدَّخَرُوهُ مِنَ ٱلْمُؤَنِ عَلَى رُفُوفٍ يَنْصِبُونَهَا بَيْنَ ٱلْأَشْجَارِ ضَنًّا بِهَا أَنْ يَسْطُوَ عَلَيْهَا حَيَوَانَاتُ ٱلْبَرِّيَّةِ ٱلْكَاسِرَةُ وَيَلْبَسُونَ

فِي الصَّيْفِ جَلَابِيبَ وَأَقْمِصَةً مِنَ الصُّوفِ الْخَشِنِ وَفِي الشِّتَاءِ لِبَاسُهُمْ حُلَّةٌ مِنَ الْفِرَاءِ وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ شِبْهُ طَرْبُوشٍ لَهُ زِرٌّ أَحْمَرُ وَأَحْذِيَتُهُمْ مِنْ جُلُودِ التَّيْتَلِ يُبَطِّنُونَهَا بِوَرَقِ أَشْجَارِهِمْ طَلَبًا لِلدِّفْءِ وَمَنْعًا لِلرُّطُوبَةِ وَفِي الشِّتَاءِ يَتَّخِذُونَ صِنْفًا مِنَ الْحِذَاءِ نَعْلُهُ مِنَ الْخَشَبِ الْمَصْقُولِ يَجْرُونَ بِهِ عَلَى الْجَمْدِ وَالْجَلِيدِ بِسُرْعَةٍ لَا تُدَانِيهَا سُرْعَةُ حَيَوَانٍ وَلَهُمْ مَرْكَبَاتٌ لَا عَجَلَ لَهَا مَصْنُوعَةٌ عَلَى هَيْئَةِ سَفِينَةٍ بَارِزَةِ الْقَعْرِ مِنَ الظَّاهِرِ يَجُرُّهَا التَّيْتَلُ بِسُرْعَةٍ تَسْبِقُ الرِّيحَ وَيُوقِفُهَا الرَّاكِبُ بِمُرْدِيٍّ يَغْرِزُهُ فِي الْأَرْضِ



٦٠ — اَلْحَرِيقُ

قَرْقُوسٌ	اَلْقَتَامُ	تَسَعَّرَ	أَعْوَلَ
أَشْجَانٌ	تَهْمِي	قُدَّ	يَهُولُ
اَلْمَغَافِرُ	اِنْبَرَى	تَفَجُّرٌ	يَهْدُرُ
اَلْهَتَّانُ	اِنْتَشَلَ	اَلْغَشَيَانُ	اَلْجَنَانُ
اَلْحَدَثَانُ			

بَلَغَ ٱلدُّخَانُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ كَأَنَّهُ
قَرْقُوسُ إِتْنَا هَاجَ بِٱلثَّوَرَانِ
هَرَعَ ٱلرِّجَالُ إِلَى ٱلْمَكَانِ لِيَكْشِفُوا
خَطْبًا أَصَابَ ٱلنَّاسَ بِٱلْخُسْرَانِ
رَأَوْا ٱلدُّخَانَ مَعَ ٱلْقَتَامِ تَسَعَّرَا
وَٱحْمَرَّ لَوْنُهُمَا مِنَ ٱلنِّيرَانِ
وَتَأَجَّجَتْ جُدُرٌ وَقَامَتْ صَيْحَةٌ
يَا لَلرِّجَالِ أُولِي ٱلْقُوَى ٱلشُّجْعَانِ

ظَهَرَتْ مِنَ ٱلشُّبَّاكِ بِنْتٌ أَعْوَلَتْ
وَٱسْتَنْجَدَتْ بِمُرُوءَةِ ٱلْإِنْسَانِ

وَٱلشَّعْرُ مَحْلُولٌ يَمُوجُ وَيَنْثَنِي
وَٱلْقَوْمُ فِي فَزَعٍ وَفِي أَشْجَانِ

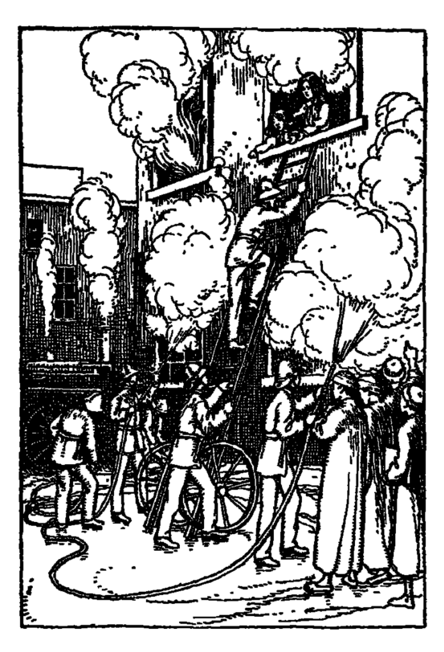
هَجَمَتْ عَلَى تِلْكَ ٱلصَّبِيَّةِ أُمُّهَا
لِتَضُمَّهَا فِي صَدْرِهَا ٱلْحَنَّانِ

وَدُمُوعُهَا تَهْمِي وَإِنَّ عَوِيلَهَا
لَيُذِيبُ قَلْبًا قُدَّ مِنْ صَوَّانِ

تَجْرِي بِهَا وَتَعُودُ حَيْرَى لَا تَرَى
مِنْ مَنْفَذٍ يُنْجِيهِمَا بِأَمَانِ

أُمٌّ تُقَاسِي حُرْقَتَيْنِ يَهُولُهَا
نَارَانِ نَارُ لَظًى وَنَارُ حَنَانِ

دَوَتِ ٱلطَّرِيقُ وَزُلْزِلَتْ أَرْكَانُهَا
وَعَلَا غُبَارٌ شَقَّهُ فُرْسَانِ



يَقْفُوهُمَا بَرْقُ ٱلْمَغَافِرِ لَامِعاً

يَسْرِي كَأَنَّ ٱلرَّكْبَ فِي طَيَرَانِ

نَزَلَ ٱلْجُنُودُ مِنَ ٱلْمِضَخَّةِ وَٱنْبَرَوْا

يَثِبُونَ نَحْوَ تَفَجُّرِ ٱلْبُرْكَانِ

نَصَبُوا مَرَاقِيَهُمْ لِإِنْقَاذِ الْأُلَى

وَقَعُوا أُسَارَى النَّارِ وَالْجُدْرَانِ

وَالْمَاءُ يَهْدُرُ صَاعِداً مُتَدَفِّقاً

يَرْمِي الْجَحِيمَ بِصَيِّبٍ هَتَّانِ

صَعِدَ الْعَسَاكِرُ وَاللَّهِيبُ يَحُفُّهُمْ

وَالْأُمُّ تُومِئُ نَحْوَهُمْ بِبَنَانِ

دَخَلُوا مِنَ الشُّبَّاكِ وَانْتَشَلُوهُمَا

مِنْ بَعْدِ مَا وَهَنَا مِنَ الْغَشَيَانِ

هَتَفَ الشُّهُودُ لِمَا رَأَوْا مِنْ فِعْلِهِمْ

مُولِي السُّرُورِ وَمُذْهِبِ الْأَحْزَانِ

وَتَسَارَعُوا بِمُنَبِّهَاتٍ أَنْعَشَتْ

لَهُمَا الْجَنَانَ فَقَامَتَا بِجَنَانِ

وَالْأُمُّ تَشْكُرُ بِاللِّسَانِ وَبِنْتُهَا

فِي حِضْنِهَا أَمِنَتْ مِنَ الْحَدَثَانِ

﴿ معانى الألفاظ الصعبة ﴾

ملاحظة — الألفاظ العامية مكتوبة بين قوسين

الصفحة	الكلمة	المعنى
٢٥	عِرْنِينٌ	عظم الأنف بين الحاجبين
٢٧	غُضْرُوفٌ	عظم لين يكسو أطراف العظام
٣٨	اَلدِّبْسُ	عسل التمر
٤٠	اَلفُسَيْفِسَاءُ	بلاط مصبوغ منقوش (الأشانى)
٤٠	شَمَسَاتٌ	ألواح
٤٩	اَلْمَطَاطُ	مادة مرنة (الستك)
٥٧	بَنِيقَةٌ	جزء القميص حول العنق (ياقة)
٥٧	رُدْنٌ	طرف كم القميص (اسورة)
٥٧	اَلرَّيْطَةُ	ثوب سخيف جدا (الشاش)
٦٥	مُؤَامَرَةٌ	المشاورة (عرض الأوراق)
٦٩	لَوْلَبٌ	آلة تنبض (زنبلك)

الصفحة :	الكلمة	المعنى
٧٦	اَلصَّنْجُ	حديدة مستديرة يضرب بها على مثلها (ساجات)
٨٩	زِمِكٌّ	موٴخر الحيوان
٩٢	إِطَارٌ	مايحيط بالشيء (براوز)
٩٢	اَلْكَاغَدُ	الورق
٩٢	اَلدُّوَّامَةُ	كل شيء يدور حول قطب (رفاس)
٩٢	اَلسُّكَّانُ	آلة توجه سير السفينة (دفة)
١٠٥	اَلشُّرْطَةُ	الشِحْنَةُ (البوليس)
١١٠	مَعْقُوفٌ	ملوى من الطرف
١١٦	مَهْيَمْ	ماذا تطلب (أفندم)
١٢٥	اَلْمَخَاضَةُ	جهةمن النهر ماوٴها قليل يخاض فيها
١٢٨	مَنَاخِسُ	جمع مِنْخس وهو آلة تنخس بها الدواب
١٢٨	عِقَابٌ	المراقى الصعبة من الجبال

** ****

الصفحة	الكلمة	المعنى
١٣٠	اَللَّازِبَةُ	الشدة والقحط
١٣٣	اَلسَّوَارِى	جمع سارية وهى الأسطوانة
١٣٣	مُهَيْنَمٌ	خفى الصوت
١٤٣	جَعْفَرٌ	نهر كبير
١٤٣	اَلْمِرْجَلُ	إناء من صفْر يغلى فيه الماء (قزان)
١٥١	جِيلٌ	جنس
١٥١	حَمُولَةٌ	دابة الحمل
١٥١	مُتَقَبِّضٌ	متداخل بعضه فى بعض (مكعمش)
١٥١	مُرْدِىٌّ	قضيب من خشب يغرز فى قعر البحر لدفع السفينة (مدرى)
١٥٥	قَرَقُوسٌ	بركان
١٥٥	اَلْقَتَامُ	سواد يتصاعد من الاحتراق (هباب)
١٥٥	اَلْمَغَافِرُ	جمع مِغْفَر وهو طاس يلبس فى الرأس عند الحرب

تقريظ الكتاب

هـذا ماتفضل به حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الـكبير الشيخ حمزة فتح الله المفتش الأول للغة العربيـة بوزارة المعارف سابقا

تلوت هذا الـكتاب أجزاءه الأربعة تأليف ولَدَيْنا الجهبَذَيْنِ على عمر بك وعبد الفتاح صبرى بك المتأَثِلَيْنِ بالسودد العادىّ (القديم) غير الأقزم

فألفيته على حداثة طريقته ووضوح مَحَجَّتِهِ أنجع وسيلة لتناول النَّشء جَنَى موضوعه وما كل حديث يعاب

ولست أعجب لسلاسة عباراته وتوخِّى مؤلفَيه فى أساليبه مناسبةَ طلاًّ به ومايشوق قارئيه إلى استيعابه فانها شنْشِنَةٌ أعرفها من أخزم وإنما الخليق بأن يُتعجَّب منه ماتجشماه فيه من تقريب العامِّية من العربية مع صحة المبنى والمعنى وما أُتيحَ لهما من ألفاظ عربية بدل العامية وضعَ

الهناء مواضع النُّقبِ ونِعْمت الخدمة للغة الشريفة

ثم التـدرج بما يناسب سن الطلبة وسِنِيهم بحيث لاينتهون من السـنة الرابعـة الا مُبَرِّزين على ذوى التجهيزيات بما انفرد به هذا الـكتاب من فرائد الفوائد ما بين أخلاق وآداب ومواعظ وعلوم وكونيات علوية وسفلية الى غير ذلك مما يوافق خبرَه العيانُ وليس وراءَ العيان بيان فما أحرى مؤلفيه بجميل الثناء وجزيل الدعاء

الفقير اليه عز شأنه

حمزة فتح الله

﴿ فهرس الكتاب ﴾